نحو ميثاق إنساني عالمي
من خلال نظرية المنهاج النبوي لعبد السلام ياسين
دراسة تحليلية تأصيلية

Towards the word humanitarian pact through The prophetic method theory of Abd al-Salam Yassin, An original analytical study

أ.د. محماد بن محمد رفيع
Pr. Dr. Mohamad Mhamed Rafia
جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس / المغرب

الملخص

تسعى هذه الورقة إلى ابتحاث إشكال مدى إمكان الكشف العلمي عن مشروع ميثاق إنساني عالمي مؤصل وقابل للتنزيل عند الإمام عبد السلام ياسين (ت ٢٠١٢م)، من خلال مشروعه الفكري الموسوم ب " نظرية المنهاج النبوي"، وقد تم تصنيف جهود الإمام ياسين في هذا الموضوع إلى مستويين اثنين: مستوى تأصيل مفهوم ومضامين الميثاق الإنساني المنشود في صيغة منظومة قيمية إنسانية، ومستوى مداخل تنزيل هذا الميثاق في السياق المعاصر المشحون بالتحديات، وقد وجدته مشروعا واضحا ومفصلا، مازال غفلا عن البحث العلمي الأكاديمي بالتحليل والتأصيل والتقويم. وعليه فإني تناولت البحث في مبحثين اثنين بعد المقدمة، وقبل الخاتمة، معتمدا في بنائه على منهج يجمع بين استقراء المادة العلمية من مظانها الأصلية والتبعية، وتحليلها وتعليل قضاياها، ومقارنتها بغيرها، وتركيب ذلك في سياق التصور العام للموضوع. وقد خلص البحث إلى جملة نتائج أهمها: أن البيان التأصيلي لمفهوم الميثاق الإنساني عند الإمام ياسين كان شاملا وعميقا، أسسه على النظر الكوني والنظر الشرعي، ثم شفعه بالبيان التفصيلي لإجراءات ووسائل تنزيل الميثاق في السياق المعاصر

الكلمات المفتاحية: ميثاق إنساني عالمي – المنهاج النبوي – عبد السلام ياسين.

Abstract

This research, seek to discover the efforts of Imam Abd al-Salam Yassin,In establishing an international humanitarian pact, liberating humanity, through his project called " The prophetic method theory". This Imam's efforts are categorized in this subjectinto two levels: The first is rooting the concept and content of the Humanitarian Charter, in the form of a human value system; the second isentrances to the application of this charter in the contemporary context fraught with challenges. I found this project clear and detailed, Forgotten by academic research. The research dealt with two sections, after the introduction and before the conclusion, relying on a method that combines the extrapolation of the scientific material from its original and subordination perspectives, its analysis and justification of its issues, and its comparison with others, and its installation in the context of the general perception of the subject.The research concluded with a number of results, the most important of which is that the original statement of the concept of the Human Charter according to Imam Yassin was profound. He based it on a universal view and a legal view, and then combined it with a detailed statement of the procedures and means of implementing the Charter in the contemporary context.

Keywords: Humanitarian pact, The prophetic method theory, Abd al-Salam Yassin.

المقدمة:

يعد القول بالمشترك الإنساني في السياق التداولي المعاصر مدخلا تأسيسيا لقواعد التواصل بين مختلف الحضارات والثقافات الإنسانية، نحو فتح آفاق واسعة من التعاون في القضايا المشتركة وتدبير هوامش الاختلاف الذي أمعن في سوء إدارته، فمن تمام حسن تدبير الاختلاف بين الناس الكشف عن المؤتلف بينهم الذي غالبا ما تنسيه حدة الاختلاف حتى كأن المختلفين لاينتظمهم ناظم ولا يربطهم رابط.

وإن مأزق ما تعيشه الإنسانية المعاصرة من حالات النزاعات السياسية والحروب العسكرية والتمزق الطائفي والمذهبي والاثني، يرجع حتما إلى ضمور ثقافة المشترك المؤتلف الواسع بين فروع الإنسانية الواحدة كما قررها الحق سبحانه في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١).

وإن من أقوى مداخل بناء المشترك الإنسان رصد القيم المؤسسة له العابرة للخصوصيات الثقافية الناظمة للشعوب الثقافية والأمم الحضارية على قاعدة التواصل الحضاري والتعارف الإنساني، وتقديم ذلك في سياق بناء إطار حضاري إنساني جامع يقي الإنسانية من ثقافة الدمار وسلوك العتو في الأرض.

لعل **أهمية البحث** في كون الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله (ت ٢٠١٢م) من أبرز من قدم رؤية مفصلة واضحة عن ميثاق إنساني أممي من المصلحين المعاصرين، من خلال مشروعه الفكري الموسوم أكاديميا ب " نظرية المنهاج النبوي" سواء على مستوى تأصيل مفهوم ومضامين هذا الميثاق الإنساني في صيغة منظومة قيمية إنسانية، أو على مستوى مداخل تنزيله في السياق المعاصر المشحون بالتحديات والتناقضات.

غير أن مشروع هذا الرجل مازال غفلا إلى حد كبير عن البحث العلمي الأكاديمي بالتحليل والتأصيل والتقويم، وهو ما دفعني إلى الإسهام في كشف اللثام عن واحدة من قضايا مشروع الإمام ياسين الحيوية لم تسبق دراستها في كل ما أنجز من أعمال علمية في

موضوع نظرية المنهاج النبوي، نذكر من أبرز تلك **الدراسات السابقة:**

أعمال المؤتمر الدولي الأول المنعقد باستانبول ٢٠١٢م في موضوع: مركزية القرآن في نظرية المنهاج النبوي عند الإمام عبد السلام ياسين، يقع في ثلاثة مجلدات، مدارها على بحث مختلف القضايا التي عالجها الإمام ياسين من خلال القرآن الكريم، ومجموع أعمال المؤتمر الثاني المنعقد باستانبول سنة ٢٠١٦م، في موضوع: التغيير في نظرية المنهاج النبوي عند الإمام عبد السلام ياسين، ومدار هذه الأعمال على بحث ودراسة مفهوم التغيير ومنهجه وأساليبه وقضاياه في نظرية المنهاج النبوي، وسلسلة كتب جماعية صدرت عن موقع الإمام عبد السلام ياسين منها: فقه التربية عند الأستاذ عبد السلام ياسين ٢٠١٦م، وكتاب قضايا أسرية عند الأستاذ عبد السلام ياسين، سنة ٢٠١٧م، وكتاب عبد السلام ياسين وجهوده في بناء المنظومة التربوية المغربية سنة ٢٠١٨م، وكتاب التغيير الاجتماعي عند الإمام عبد السلام ياسين لمجدي قويدر، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ٢٠١٨م، وكتاب مراجعات في التراث المقاصدي والأصولي والفقهي عند الإمام عبد السلام ياسين لمحماد رفيع، البيضاء: إفريقيا الشرق، طبعة١، ٢٠٢١م، وكتاب اجتهادات الإمام عبد السلام ياسين في تجديد وتفعيل مقاصد الإسلام: بناء الإنسان وتحقيق العمران، لوسيم عوني أبو حسن، البيضاء: إفريقيا الشرق، ٢٠٢١م، وهي أعمال لم تتناول مسألة الميثاق الأممي في فكر عبد السلام ياسين، اللهم ما يتعلق بوحدة الأمة الإسلامية عند الإمام.

وصدرت مقالات علمية في فكر الإمام ياسين، نذكر منها: معالم فقه الواقع في مشروع نظرية المنهاج النبوي لعبد السلام ياسين، لمحماد رفيع،مقال محكم منشور بمجلة المرقاة الصادرة عن هيأة علماء فلسطين بالخارج، السنة٣، العدد ٤/٢٠٢٠.**ومقال** الوحي بين مقاصده ومطالبه من خلال نظرية المنهاج النبوي للإمام عبد السلام ياسينلمحماد رفيع، بحث منشور بمجلة "معالم القرآن والسنة" المحكمة الصادرة عن كلية دراسات القرآن والسنة بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية، العدد١٦/٢٠٢٠م، ومقالمعالم النظر المقاصدي في آي الكتاب عند الإمام عبد السلام ياسين، مقال محكم منشور بمجلة المرقاة للدراسات والأبحاث

الإسلامية، العدد ٦/٢٠٢١م، وهي أعمال بحثية تراكمية في تراث الإمام ياسين، لم تتناول موضوع الميثاق الإنساني عند الإمام ياسين، مما جعل من موضوعنا هذا لبنة إضافية جديدة لما كتب.

أما **مشكلة هذه الدراسة**، فيمكن اختزالها في مدى إمكان الكشف العلمي عن مشروع ميثاق إنساني عالمي مؤصل وقابل للتنزيل عند الإمام عبد السلام ياسين، وذلك من خلال نظريته في المنهاج النبوي المبثوثة في مختلف كتاباته، وعليه فإن **أسئلة البحث**الإجرائيةنختصرها في اثنتين: كيف أصل الإمام ياسين لمفهوم ميثاق إنساني أممي؟ وكيف عمل على تنزيله في السياق المعاصر؟

ولعل **الهدفمن هذه الدراسة** الإسهام في الكشف عن مشروع علمي مؤصل وقابل للتنزيل عند الإمام ياسين، يمكن أن يستجيب لحاجات الواقع الإنساني المعاصر الذي تهيمن عليه الحروب والصراعات والتوترات في العلاقات الدولية، وذلك انطلاقا من إيماني أن السعي للدفاع عن الإنسانية والإسهام في إخراجها من شقاء الصراعات وأجواء الكراهية واجب شرعي مطلوب، وقيمة إنسانية راقية.

وهو ما اضطرني منهجيا إلى اتباع **إجراءات بحثية**، تتمثل في استقراء مختلف كتابات الإمام ياسين لاستخراج المطلوب في الموضوع ونظمه في سلك جملة محاور، أولاها تمهيد: خصصته لبيان**مصطلحات البحث** ومفاهيمه المركزية، وثانيها مقدمة، وهي ما نحن فيه، وثالثها مبحث تأصيلي لمفهوم الميثاق الإنساني العالمي عند الإمام ياسين، ورابعها مبحث خصص إجراءات تنزيل الميثاق الإنساني في السياق المعاصر عند الإمام ياسين، وخامسها خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث مشفوعة ببعض التوصيات.

أما **حدود البحث**، فينحصر موضوعيا في مفهوم الميثاق الإنساني العالمي داخل نظرية المنهاج النبوي لعبد السلام ياسين، مع إمكان المقارنة بغيره من المصلحين.

من أجل مقاربة هذا الموضوع اعتمدت **منهجا**يجمع بين استقراء المادة العلمية من مظانها الأصلية، ممثلة في مجموع تراث الإمام ياسين، والتبعية، متجلية في مراجع مقارنة

وتحليلها وتعليل قضاياها، ومقارنتها بغيرها، وتركيب ذلك في سياق التصور العام للموضوع، وقد خلص البحث إلى **جملة نتائج** أهمها أن البيان التأصيلي لمفهوم الميثاق الإنساني عند الإمام ياسين كان شاملا وعميقا، أسسه على النظر الكوني والنظر الشرعي، ثم شفعه بالبيان التفصيلي لإجراءات ووسائل تنزيل الميثاق في السياق المعاصر.

تمهيد: في بيان المفاهيم المركزية المؤسسة للبحث

لعل من الواجب المنهجي، ومن تمام حسن التواصل المعرفي بين الباحث وقرائه، الابتداء بالبيان للمفاهيم المركزية التي يتأسس عليها الكلام في البحث، وهي سنة منهجية عند كبار النظار من الأصوليين، أمثال أبي الوليد الباجي[١] وابن حزم، وغيرهما، فأورد، استنانا بسنتهم، بيان مفاهيم هذا البحث على النحو الآتي:

١) ميثاق إنساني عالمي

يعد الميثاق المفهوم المركزي الذي انبنى عليه البحث، فكان الابتداء ببيانه وتأصيله أولى، وعليه فإن المعنى المعجمي للفظة ميثاق ترجع إلى معنى العهد المحكم[٢]، وإلى معنى عَقْدٌ مؤكد بيمين وعَهْد[٣]، وقد وردت لفظة ميثاقفي القرآن الكريم بصيغ متعددة: (الميثاق، موثقا، موثقهم، ميثاق، ميثاقا، ميثاقكم، ميثاقِه، ميثاقهم، واثقكم)، وبمعاني متعددة، نذكر من أهمها:

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت.٤٧٤) من أبرز علماء المالكية في القرن الخامس الهجري بالأندلس. تنظر تفاصيل ترجمته في: عياض، القاضي. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق مجموعة من العلماء المغاربة،طبعة وزارة الأوقاف المغربية ١١٧/٨-١٢٧، واليعمري، ابن فرحون.الديباج المذهب، في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان بدون تاريخ ولا رقم الطبعة، ص : ١٢٠-١٢٣.

(٢) ينظر ابن فارس، أبو الحسين أحمد. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، طبعة١٩٩١/١م، مادة (وثق)، ٨٥/٦.

(٣) ينظر الأصفهاني، الراغب، مفردات القرآن في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، طبعة ١٩٦١م، ص٥١٢.

العهد الذي أخذه الله من النبيين على الوفاء بما حمّلوا من أمانة التبليغ، وأن يبشر بعضهم ببعض، ويصدّق بعضهم بعضا، في قول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (الأحزاب: ٧).

والعهد الذي أخذه من بني إسرائيل للزوم التوحيد والإحسان للوالدين والأقارب، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تعبدون إلا الله﴾ (البقرة: ٨٣)، والعهد الذي أخذه الله مطلقا من عباده للإيمان به وبما أوحى إلى رسله في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الحديد: ٨).

كما استعمل في معنى عقد البيعة بين الإمام والمسلمين، في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (المائدة: ٧)، ذهب البغوي في تفسير الآية إلى أن المقصودحسب أكثر المفسرين هو العهد والميثاق الذي عاهد به النبيّ صلى الله عليه وسلم المؤمنين على السمع والطاعة في المَنْشَط والمكْرَه إذ قالوا: سمعنا وأطعنا، كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة"(١).

وجاء كناية على العقود التي يبرمها المسلمون مع غيرهم، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (النساء: ٩٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ (النساء: ٩٢)، واستعمل في العهد والعقد بين أفراد المجتمع، حيث يكون الله شهيدا عليه، ومنه العهد الذي كان بين يعقوب وبنيه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (يوسف: ٦٦)، كما استعمل في عقد النكاح، في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (النساء: ٢١).

(١) ينظر البغوي، أبو محمد الحسين. تفسير البغوي، بيروت: دار ابن حزم، طبعة ٢٠٠٢م، ص٣٦٤.

ويجري استعمال الميثاق في هذا البحث غير بعيد من الاستعمال القرآني، من حيث كونه تعاقدا بين شعوب ودول العالم على مبادئ وقيم إنسانية تتحول إلى معايير للاحتكام إليها، لذلك جاء مقيدا بوصفين: أحدهما وصف الإنسانية، لأنه مؤسس على قيم ومبادئ إنسانية، والثاني: العالمية، لأن العقد يستهدف الإنسانية في العالم كله.

٢) نظرية المنهاج النبوي

نقصد في هذا البحث بهذا المركب الإضافي، ما أثله عبد السلام ياسين من مشروع فكري متكامل يقترحه لتغيير واقع الأمة أفرادا وجماعة من أجل تحقيق مقصدين اثنين أحدهما إحساني وهو الارتقاء بالفرد بالتربية الإيمانية عبر مدارج الإيمان إلى مرتبة الإحسان، وثانيهما استخلافي وهو التمكين للأمة في التاريخ وسيادة الحضارة الإسلامية في العالم خدمة للبشرية[١]، وذلك من خلال نقل الأمة من الفتنة والتخلف إلى مرقاة الإيمان والتمكين، ومن واقع التجزئة إلى أفق الوحدة ومن نظام الجبر إلى دولة الخلافة الثانية، وذلك على أساس ما سماه الخصال العشر وشعب الإيمان، وهي عشر وحدات وزع عليها الإمام ياسين شعب الإيمان السبع والسبعين الواردة في الحديث برواية مسلم، وتشكل هذه الخصال المنظمة وفق خطة تربوية تنظيمية جهادية، لبنات مشروع نظرية المنهاج النبوي[٢]، وذلك من أجل تحقيق المقصدين السابقين: الاستخلاف والإحسان.

وفي الجملة فنظرية المنهاج النبوي تشكل عصارة تجربة واجتهاد الإمام ياسين عبر سنين عددا قضاها وهو يقلب النظر ويفحص بلغات متعددة، مختلف النظريات الفكرية والفلسفية والعلوم المعرفية والتجارب البشرية والمعارف الإسلامية وتاريخ الحركات الإسلامية، وغيرها من المصادر المتعددة والمتنوعة لنظرية المنهاج النبوي[٣].

(١) ينظر ياسين عبد السلام، المنهاج النبوي ص١١ وص١٥.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. المنهاج النبوي (مرجع سابق) ص١١٧ فما بعدها.

(٣) ينظر رفيع، محماد. نظرية المنهاج النبوي عند الإمام عبد السلام ياسين، أصولها المعرفية ومبانيها المركزية، بحث مخطوط قيد الإنجاز.

٣) عبد السلام ياسين[١]:

هو عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن إبراهيم ولد (١٣٤٧هـ) الموافق لـ ١٩٢٨م، تخرج في معهد ابن يوسف الذي كان يدرس فيه كبار علماء المغرب، بعد أربع سنوات من الدراسة، عمل في سلك التعليم لمدة ٢٠ سنة تدرج خلالها في مجموعة من المناصب التربوية والإدارية العالية، ومثل خلالها المغرب في عدد من الملتقيات البيداغوجية الدولية.

صدر له من مؤلفات ما يربو عن الأربعين في قضايا متنوعة مع وحدة الموضوع، من أمهات كتبه المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، وكتاب تنوير المؤمنات وكتاب الإحسان وكتاب العدل وكتاب نظرات في الفقه والتاريخ، وكتاب الخلافة والملك، وكتاب الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية، وكتاب الإسلام والقومية العلمانية، وكتاب رجال القومة والإصلاح، وكتب أخرى منها ما هو في قضايا فكرية وسياسية، ومنها ما هو في قضايا فلسفية، ومنها ما هو جملة كتب تنظيرية مندرجة تحت دولة القرآن، ومنها دواوين شعرية، نظمت مؤتمرات دولية عدة في نظرية المنهاج النبوي بلغات مختلفة، أهمها: العربية والأنجليزية والفرنسية، منها ما نظم في حياة الإمام، ومنها ما عقد بعد وفاته رحمه الله دجنبر من سنة ٢٠١٢م.

(١) تنظر تفاصيل السيرة العلمية والدعوية لعبد السلام ياسين في موسوعة سراج إصدار ٢٠١٢/٢/١م، وفي موقعه الالكتروني: http/www.yassine.net

المبحث الأول: مسالك التأصيل لميثاق إنساني عالمي عند الإمام عبد السلام ياسين

لم تكن دعوة الإمام ياسين رحمه الله إلى نظم المجتمعات الإنسانية في سلك ميثاق عالمي مجرد فكرة عابرة وردت في ثنايا كلامه، أو شعارا رفعه مصانعة لمقتضى الظرف المعاصر، وإنما هو مشروع حضاري أصيلتأسس عند الإمام على قواعد مكينة وأصول متينة، تجمع بين ما هو كوني وما هو شرعي.

المطلب الأول: التأصيل الكوني للميثاق الإنساني

نقصد بالتأصيل الكوني أن الميثاق الإنساني هو مقتضى الفعل التدبيري للحق سبحانه في آيات كونه وفق إرادته الكونية،وقد اقتضت تلك الإرادة جعل آية الاختلاف والتعددية بين الناس سنة كونية مطردة، لكنها منتظمة في سلك جملة من المؤتلفات تقتضي التحالف والتآزر، قال ابن تيمية: " كل اجتماع في العالم لا بد فيه من التحالف، وهو الاتفاق والتعاقد على ذلك ... فإن بني آدم لا يمكن عيشهم إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم، فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف"(١)، ومن جملة الموجبات الكونية للتحالف الإنساني عند الإمام ياسين، نذكر:

الفرع الأول: وحدة أصل الإنسانية:

إن قضية التعددية في المجتمعات الإنسانية بشتى مظاهرها الدينية والفكرية والثقافية واللغوية وغيرها مرجعها في نظر الإمام ياسين(٢) إلى أصل موحد، فالإنسانية على امتداد الزمان وتوسع المكان واختلاف الألسن والأعراق والألوان تؤول إلى أصل واحد وهي النفس التي منها تناسلت فروعها، ويجمع بين هذه الفروع الإنسانية علاقة أصيلة ثابتة اقتضاها الأصل الموحد، وهي التي سماها الإمام علاقة الرحم الآدمية(٣)بغض النظر عن الدين والعرق

(١) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، تحقيق وتعليق د. رشاد سالم، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، دون ت ولا رقم ط، ص١٢٠.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل الإسلاميون والحكم، ص٣٢٧.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

واللون والحضارة، كما أخبرنا بذلك الحق سبحانه في جملة من آيات كتابه، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء الآية ١).

فهذه العلاقة الإنسانية أوالآدمية[١] بتعبير الإمام ياسينتستوجب في نظره حقوقا[٢] تتعين مراعاتها، تحت طائلة الحساب الأخروي، كمايشير إليه قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ومن قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَايِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣).

ووحدة أصل النوع أمر مدرك بالضرورة، كما يقول الطاهر بن عاشور، " لأن كل إنسان إذ لفت ذهنه إلى وجوده علم أنه وجود مسبوق بوجود أصل له بما يشاهد من نشأة الأبناء عن الآباء، فيوقن أن لهذا النوع أصلا أول ينتهي نشوءه "[٣]، ويؤكد حقيقة وحدة الإنسانية قوله صلى الله عليه وسلم: " ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى "[٤]، وقوله عليه السلام:"كلكم لآدم وآدم من تراب"[٥].

(١) هذه العبارة المحددة للعلاقة الثابتة بين بني البشر مطردة عند الإمام في مختلف مؤلفاته، منها: العدل ص٣١٩-٣٢٧-٣٢٩-٣٢٨، المنهاج النبوي ص٣٣، تنوير المومنات ٢/٢٨٥، الإحسان ١/٣٠٥، إلى غيرها.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام، المصدر السابق ص٣٢٨.

(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع،)١/٣٩٥.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسنده، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط.٢، ١٩٩٩م.) من حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٢٣٥٣٦، والبيهقي، أبو بكر، في شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي حامد، (الرياض: مكتبة الرشد، ط.١، ٢٠٠٣م)، باب في حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، ٩/٨٥، صححه الأرناؤوط، والألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص٧٢.

(٥) أخرجه الربيع، في مسنده، كتاب الحج، الباب السادس: في الكعبة والمسجد والصفا والمروة رقم الحديث٢٨، ص٩٣، من حديث أبي عبيدة عن جابر بن زيد، الناشر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلطنة عمان، ط١/. ١٤٣٢هـ)، وبلفظ آخر عند الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن، رقم الحديث٣٩٥٦، سنن =

لقد أسس الإمام ياسين رحمه الله الوحدة الإنسانية الجامعة على مفهوم الوحدة الإنسانية في النفس والأبوة والأخوة الجامعة بينها من أجل التعارف والتعاون والتكامل بين خلق الله أجمعين، فألغى بذلك كل دواعي التقاتل والتباغض، وأثبت معيار التفاضل الذي يسع الجميع بمقتضى قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

الفرع الثاني: ميثاق الفطرة

يقصد الإمام ياسين بميثاق الفطرة "الميثاق الأزلي الذي أخذه الله على بني آدم"(١)، وهو الذي ذكر الله بنوده في قوله سبحانه: ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ (الأعراف: ١٧٢-١٧٣).

فهذا الميثاق في نظر الإمام من أقوى الجوامع لفروع الإنسانية لأنه أصيل منغرس في عمق كل إنسان، وهو" ميراث عقَديٌّ متسلسل من آدم عليه السلام، أورث بنيه الإيمان"(٢)، وإنما يغطي حقيقة هذا الميثاق الفطري في الإنسان ما يصيبه في سياق التنشئة الاجتماعية من أدران الغفلة حتى تصير فطرته " مردومة مطمورة"(٣) بعبارة الإمام ياسين، إلا أن يتداركه الله بمن يسمعه نداء فطرته، يقول الطاهر بن عاشور في بيان أثر التنشئة الاجتماعية في تحريف

=

الترمذي (٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: للجزء الخامس كل من إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط٢/١٣٩٥هـ: ٥/٧٣٥، من حديث هارون بن موسى بن أبي علقمة الفروي المدني عن أبيه، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الترمذي في السنن، أبواب المناقب رقم٣٩٥٥ حديث حسن غريب.

(١) ياسين، عبد السلام. سنة الله ص٢٧١.

(٢) ياسين، عبد السلام. العدل ص٢١٥.

(٣) ياسين، عبد السلام. العدل ص٦٢.

الفطرة والغفلة عن ميثاقها: " لو ترك الإنسان وتفكيره، ولم يلقن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته "[١]، وفطرة الإنسان حسب ابن عاشور " ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية... واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية "[٢]، وهذا الذي سماه القرآن ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وإنما يمنع الإنسان من الالتزام بمقتضى بميثاق الفطرة ما تتعرض له فطرتهمن التحريف أو " التغفيل" بعبارة الإمام ياسين[٣]، بعوامل التنشئة الاجتماعية، وغياب الحصانة التربوية، كما أخبرنا الحق سبحانه على لسان نبيه عليه السلام حين قال: " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا "[٤]، وأكده نص البيان النبوي: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٥].

فهذا الميثاق الفطري يمثل حقيقة كونية مشتركة بين بني الإنسان جميعا، تؤكد مدى امتداد عمق الائتلاف بين الناس في كيانهم البشري مهما اختلفوا.

(١) ابن عاشور، الطاهر. المصدر السابق، ٩٠/٢٠.

(٢) ابن عاشور، الطاهر. المصدر السابق.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٦٨، ولعل العبارة أخذت من قوله تعالى السابق الذكر: " أو تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين".

(٤) مسلم في الجامع الصحيح باب في صفة يوم القيامة، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث: (٢٨٦٥):٢١٩٧/٤، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

(٥) البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم الحديث ١٣٨٥، ١٠٠/٢، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١/ ١٤٢٢هـ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفرع الثالث: وحدة الكرامة الإنسانية

يرى الإمام ياسين أن الكرامة حاجة فطرية في الإنسان(١)، ومنحة إلهية يتقاسمها الناس على السواءدون اعتبار لإيمانهم وغيره، والتميز بينهم بالأكرمية بمقتضى قوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات:١٣)(٢)، والتكريم اصطفاء من الله لبني آدم من بين خلقه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء الآية ٧٠)، وذلك قبل اختلاف الناس بألسنتهم وألوانهم ومذاهبهم الدينية والفكرية والعلمية.

وذهب الإمام رحمه الله إلى أن الإنسان خلق ليكرم في الدنيا ويسعد في الآخرة أو يشقى حسب كسبه في الدنيا، ومن تكريمه تسوية جسده وحواسه وعقله وخيرات الأرض، وبعثت له الرسل لتدركه بالمطلوب وألا ينسى ويفتتن بالدنيا وشهواته(٣)، إلى غيرها من صور التكريم الإنساني التي جمعها الإمام ياسين في جملة بليغة جامعة حين قال: "كل ما في الكون يكتسب صلاحيته ومنطقه ووظيفته ومعناه من الإنسان."(٤).

وبناء على ما ذكر فالتكريم لا يستقل به إنسان دون آخر لأي سبب من الأسباب، لأن الناس كرموا لآدميتهم قبل أن يتوزعوا أديانا ومذاهب وملا ونحلا، لذلك وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يضرب أروع مثال في تكريم الإنسان مهما كان معتقده ومذهبه، وذلك حين وقف وقفة إجلال وتكريم لجنازة يهودي، فلما قيل له في ذلك، قال: " أليست نفسا؟ "(٥).

(١) ينظر ياسين، عبد السلام. الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية ص١٦.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. الإسلام والقومية العلمانية ص١٣٧.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٩٧-٩٨.

(٤) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٧.

(٥)البخاري في الجامع الصحيح باب من قام لجنازة زفر، كتاب الجنائز، مسلم في الجامع الصحيح باب القيام للجنازة، رقم الحديث ١٣١٢، ٨٥/٢، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر

غير أن منبع كرامة الإنسان في نظر الإمام إنما تكمن في تحرره من عبودية غير الله تعالى[١]، حتى لا يبتعد عن أصل تكريمه وتشريفه، فعبودية غير من كرم سقوط فيما يناقض التكريم وينافي التشريف، كما أن الدخول في سلك العبودية لله تعالى صعود في مدارج التكريم، مصداقا لقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

الفرع الرابع: العاطفة الإنسانية:

من موجبات القول بالتحالف الإنساني عند الإمام ما غرس بفطرة بني آدم من عاطفة مشفقة على الإنسان ما لم تمسخ الفطرة وتغطى تلك العاطفة بركام الأحقاد الموروثة عبر التنشئة الاجتماعية، ولذلك كانت الشفقة على الإنسان وحب الخير لهم في نظر الإمام منحة إلهية وخصلة إيمانية إحسانية، يقول الإمام ياسين: "إذا منح المولى عز وجل العبد نصيبا من الإحسان والإيقان كان من الشفقة على الخلق، وحب الخير لهم، والحرص على أن يهديَ الله به ولو رجلا أو امرأة بحيث يكاد يبْخَعُ نفسَه أن لا يكونوا مومنين."[٢].

كما أن وحدة الرحم بين العباد تقتضي العطف والشفقة على الناس، وإن من أرقى النماذج البشرية في الشفقة والرحمة بخلق الناس أجمعين أنبياء الله ورسله عبر التاريخ، يصفهم الإمام بقوله: "كان حَدَبُهم على الخلق وشفقتهم وخوفُهم عليهم من عذاب الآخرة صفةً بارزة"[٣]، واستدل الإمام على ذلك بما ذكره الحق سبحانه في كتابه[٤] من باعث العاطفة الإنسانية لدى جميع الأنبياء من خلال حرصهم الشديد على هداية أقوامهم خوفا عليهم من عذاب الآخرة، ومن هؤلاء الكرام سيدنا نوح عليه السلام الذي ظل يحرص على هداية قومه طول ألف سنة إلا خمسين عاما حتى ﴿جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا

(١) ينظر ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٦.

(٢) ياسين، عبد السلام. العدل ص٥١٣.

(٣) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٢٩.

(٤) ينظر ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

واستكبروا استكبارا﴾ (نوح:٧) كما وصفهم الله على لسان نبيه نوح عليه السلام، وهو الذي سجل الله نداءه الشفيق في كتابه، فقال: ﴿فقال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُه. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (نوح:٧).

كما سجل الحق سبحانه نداءات الشفقة لأنبيائه آخرين، منهم صالح عليه السلام، فقال: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية۞ فذروها تاكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم أليم﴾ (الأعراف:٧٢)، ومنهم النبي شعيب عليه السلام، حيث قال سبحانه: ﴿إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ (هود:٨٣).

ويرفع الإمام من شأن العاطفة الإنسانية على نحو غير مسبوق حين قرر بصفة حازمة وحاسمة أن " كل تديُّن لا يكون من مضمونه الشفقة على الخلق، ومن أهداف جهاده البِر بالخلق والعدل في الخلق، فهو تدين أجوف"(١)، وعليه فمن غير المقبول أبدا من مسلم تقي" أن يتحمل مشهد امرأة أو رجل –مهما تكن أخطاؤهما أو مبادِئهما –يُعاملان وكأنهما نفاية من النفايات"(٢).

المطلب الثاني: التأصيل الشرعي للميثاق الإنساني

تبدو متانة البناء التأصيلي عند الإمام للميثاق الإنساني من خلال قدرته على الجمع بين الموجب التكويني والموجب الشرعي، فاكتملت بذلك الصورة التأصيلية لمشروع الميثاق الإنساني، وقد سلك رحمه الله في بيان هذا الموجب الشرعي مسلكين متكاملين أحدهما كلي والثاني تفصيلي، وهو ما ينبئ عن عمق نظر الرجل وعلو أفقه رحمه الله في تأصيل القضايا، فهو الخبير بمضامين الشريعة ومنهجها في التنصيص على القضايا والأحكام.

(١) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٣٠.

(٢) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٥٦.

الفرع الأول: التأصيل الشرعي الكلي:

ونقصد به ما استند إليه الإمام ياسين من كليات شرعية في تأصيل القول بالميثاق الإنساني، وهو عندي على ثلاثة أنحاء:

١) موجب إنسانية الخطاب الشرعي:

ينظر الإمام ياسين رحمه الله إلى الخطاب الشرعي في جملته ومقاصده على أنه خطاب مستوعب للزمان والمكان والإنسان، لأنه " خطاب موجه للإنسان كيفما كان جنسُه وزمانُه ومكانُه"(١)، ولذلك فإن "الإسلام دعوة عالميَّةٌ"(٢)، وهو ما يقتضي في نظر الإمام أن يصاغ الخطاب الإسلامي المعاصر صياغة إنسانية مقصدا وحكمة، هدفه "إبلاغَ الإنسان أينما كان بلاغَ التوحيد، وبلاغَ الأُخُوَّةِ بين البشر، وبلاغَ السلام في العالم، وبلاغَ العدل والإحسان"(٣).

فقد أدرك الإمام تماما أن الخطاب القرآني موجه ابتداء إلى الإنسان يذكره بميثاق فطرته ونداء ربه بنداء متكرر بصيغ مختلفة " يأيها الإنسان" يا أيها الناس" " يا بني آدم"، فلم يكن خطابا لقوم دون آخرين، ولا خطابا للإنسان في زمن دون زمان، بل هو خطاب جامع للإنسانية يهديها سبل السلام.

٢) موجب المقاصد الشرعية:

لما كان الخطاب الشرعي موجها أساسا للإنسان، كان مدار مقاصد هذا الخطاب على معالجة الحياة الإنسانية عامة من مختلف جوانبها معالجة كلية شاملة، حيث رتبت المصالح المطلوبة لهذه الحياة في مستويات متفاوتة، وفق نسق تكاملي أولوي مترابط، فحددتعلى وجه القطع قوام حياة الإنسان الكريمة في كليات خمس، من دين ونفس وعقل

(١) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص١٦١.

(٢) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

(٣) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٢٦٢.

ونسل ومال[١] لكي تلبي في نظر الإمام ياسين "رغبة الإنسان وحاجته في كل المجالات النفسية، والأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية"[٢]، وذلك ما يتوقف عليه وظيفة الإنسان الحضارية في عمارة الأرض، لذلك رتبتها الشريعة في سلم الضروريات، ولذلك فهي مقاصد مرعية "في كل ملةبحيث لم تختلف فيها الملل، كما اختلفت في الفروع، فهي أصول الدين، وقواعد الشريعة، وكليات الملة "[٣]، وهي بتلك المكانة تمثلقاعدة الائتلاف الإنساني، لأنها عابرة للملل والمذاهب كما قال الغزالي: " يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذا لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر، والقتل، والزنى، والسرقة، وشرب المسكر "[٤].

وقد ارتفعت مقاصد الشريعة بمستوى الحياة الإنسانية من تأمين المقومات الضرورية، إلى تأمين الحاجيات الموسعة للحياة التي تنتفي فيها المشقة والحرج، وذلك بالتركيز على استكمال الحفظ للمؤتلف الإنساني في الحياة، بما يلبي حاجيات الإنسان الحقيقية، ويرفع عنه الحرج، فتستقيم الحياة بلا ضيق ولا كدر، وهو المستوى الحاجي المتمم للمستوى الضروري الذي يؤمن الإنسان من أن يفتتن في حياته يقول الإمام ياسين: "وإن توفيرَ هذا النصيب للعباد ضرورة لكيلا تفتنهم الدنيا بالفقر والمرض والجهل والحاجة عن مطلبهم الأخروي"[٥].

فتلبية الحاجيات الحقيقية للإنسان مصلحة معتبرة، تفضي إلى التوسعة ورفع الحرج، وتكمل المصالح الضرورية، ولذلك جاءت الأحكام الشرعية على وجهين: وجه يقصد إلى تشريع المصالح الملبية لحاجيات الناس، بما يرفع عنهم الحرج والمشقة، ووجه ثان يهدف إلى

(١) ينظر على سبيل المثال: الغزالي أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق مصطفى أبو العلا، (القاهرة: مكتبة الجندي، د.ط)، ٢٧٨/١، والشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات في أصول الشريعة تحقيق عبد الله دراز (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة / ٢٠٠٣م) ١٩/٢.

(٢) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص١٠١.

(٣) الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات ١٩/٢.

(٤) الغزالي، أبو حامد، المصدر السابق.

(٥) ياسين عبد السلام، المصدر السابق.

حماية تلك المصالح مما ينافيها من المفاسد، ومن ذلك الاستقرار والطمأنينة، والحرية الفكرية والشخصية وغيرها، وكل اعتداء على هذه المصالح تحدد له عقوبة تعزيرية اجتهادية وفق مقاصد العقاب الشرعي، إذ الاعتداء على ما الإنسان مفتقر إليه جناية، ومعلوم أن دفع الفساد عن الناس هو مقتضى العدالة الحقة[١]، فالإنسان في نظر الإمام إذا استعبد وضيق عليه في معاشه فقد سائر حرياته، وإن عاش طفيليا على المجتمع بالكسب الحرام من ظلم وابتزاز وغش وكسل ودروشة، خان قانون العبودية[٢].

٣) الموجب الحضاري:

يرى الإمام ياسين أن الأفق الحضاري المطلوب للميثاق الإنساني والتحالف الأممي لا ينحصر " في أفق البيئة الأرضية والمعاملة اليومية والمستقبلية المحدودة"[٣]، وإنما يتعين السعي اللطيف الحكيم لتبليغ الرسالة الحضارية للإنسانية، أو البلاغ الإلهي بعبارة الإمام[٤] متمثلة في تذكير الإنسان وتبصيره بالغاية التي من أجلها خلق، وهي العبودية لله تعالى، قال الإمام ياسين: "مهمتنا لإسماع البلاغ الإلهي لإسماع رسالة القرآن. لإعلام الإنسان، والإعلان له، والصيحةِ في أذنه، والعرض اللطيف على قلبه، والحديث الشفوق إليه، والبيان الأخوي إليه، بأن من وراء الموت حياة، وبأن الإنسان ليس دابة أرضية."[٥].

ويلح الإمام ياسين على قداسة تبليغ هذه الرسالة الحضارية للإنسان، باعتبارها أمانة اؤتمنا عليها، فهي المعيار المحدد لقيمتنا بين الناس وإلا كان انشغالنا بغير المطلوب، قال الإمام ياسين: "فمتى سكتنا عن البلاغ الأخروي، وانشغلنا بمناوشة أعداء الدنيا عن الآخرة فقد

(١) ينظر عبد السلام التونجي، مؤسسة العدالة، في الشريعة الإسلامية، (ليبيا: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طبعة١/٢٠٠٧م)، ص ٥٤.

(٢) ينظر ياسين عبد السلام، في الاقتصاد ص ٧٥.

(٣) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣١٧.

(٤) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٣١٧.

(٥) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

انقطعنا وانجَرَرنا مع تيار الدنيا وانسقنا مع منطقها. وعندئذ فلا قيمة لنا عند الناس لأننا لم نبلغهم رسالة الله العزيزة، ولا قيمة لنا عند الله لأننا خنا أمانة الله."(١).

ومن فرائد الإمام ياسين في التهمم بهذا العمق الحضاري الغيبي للميثاق الإنساني وشعوره العميق بجسامة المسؤولية تجاه الإنسان أن صنف رسالة البلاغ الإلهي للإنسان في تعريفه بربه الحق الأسمى للإنسان الذي ينتظم بقية الحقوق، يقول رحمه الله: " حق الإنسان الخالد السامي الأسمَى: أن يكون عبدا لله عز وجل، عاملاً للقائه، آملا في جزائه وجنته، خائفاً من عقابه وناره. هذه هي كرامته الآدمية، كل حق يطالِبُ به ما دون ذلك من حقوق الدنيا فهو له حقٌّ شرعي إن كان نيلُه يقربه من غايته الأخروية"(٢)، بل إن رأس حقوق الإنسان عند الإمام، "وأم الحريات، ومنبع الكرامة، تحرير الإنسان من كل عبودية غير العبودية لله رب العالمين لا شريك له"(٣).

وهذا الرسالة الحضارية تقتضي منا عند الإمام عمارة الأرض لتكون "مراحا مطمئنا ليسمع الخلق كلام الله، ويستجيبوا لداعي الله ويذهبوا للآخرة في أمان الله ورضى الله"(٤)، لأن "الأصل في تعايش أهل الأرض الأمان. والاستقرار العالمي"(٥)، يقول الإمام في حاجة الرسالة الحضارية للسلم العالمي "وأفضل مناخ لتبليغ رسالتنا هو السلام في العالم والتواصل والتعارف والرحمة."(٦).

(١) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

(٢) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٣١٨.

(٣) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٦.

(٤) ياسين، عبد السلام. سنة الله ص٣٠٦.

(٥) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٣.

(٦) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٢١٤.

الفرع الثاني: التأصيل الشرعي الجزئي:

نقصد بالموجب الشرعي الجزئي ما استند إليه الإمام رحمه الله من أدلة شرعية تفصيلية، شاهدة على أصالة السعي لبناء ميثاق إنساني، نذكر منها:

١) وجوب البرور والإقساط إلى الإنسانية:

يستند الإمام في وجوب البرور والإقساط إلى الإنسان بقوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركُم أنْ تبَرُّوهم وتُقسِطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة:٨)، وعلق الإمام على هذه الآية بقوله: "بِر الرَّحِم الآدمية يحبهُ الله الجليل الرحيم"(١).

٢) وجوب الجهاد لحماية الإنسانية:

يرى الإمام أن حماية الإنسانية ليس اختيارا وإنما هو جهاد مفروض بمقتضى قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ (النساء: ٧٤)، ودفعا لأي توهم بأن الآية قاصرة على سبب نزولها سارع الإمام ياسين إلى التأكيد أن "الأمر بنُصرة المستضعفين والقتال في سبيل الله وسبيلهم عام لا يخصصه سبب النزول. وظلم الكافرين في زماننا لا ينحصر في قرية بل يعم الأرض وساكنيها، ويعم الجوَّ والبحر والهواء والماء."(٢).

ويرى الإمام أن حاجة الإنسانية في الزمن المعاصر إلى الدفاع عنها وحمايتها من أنواع الظلم والقهر أكثر إلحاحا نظرا لما تعرفه مختلف مناطق العالم من حالات الظلم والقهر والعنف على الإنسان منذ الحربين العالميتين(٣)، غير أن الإمام ياسين يرى أن ما عليه المسلمون الآن من ضعف لا يمنع من كونهم آمال الإنسانية، يقول: " وفي كلمة الله وأمره الشرعي ووعده

(١) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٣٢٩.

(٢) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٩٦.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٩٧.

الكوني هُم محط آمال الإنسانية وإن كانت الفجوة بين الواقع والأمل تبدو لعين المرتاب سحيقة"[١].

٣) الدفاع عن الإنسانية عهد وميثاق مع الله

لم ينظر الإمام إلى الدفاع عن الإنسان ورفع الظلم عنه وحمايته بكل المواثيق مجرد مسألة ضمير إنساني، استتارها ما تتعرض له الإنسانية الآن من عذاب، بقدر ما هي عهد مع الله تعالى أمرنا بالوفاء به ونهينا عن نقضه ونكثه في قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾ (النحل:٩١)، وهو عهد يراه الإمام أنه "يُلزمنا بوَلاَيَةِالمستضعفين، والوَفاءِ لهم، ونصرتهم، والجهاد من أجلهم"[٢]، ويؤكد حاسما أن"كل حديث عن حقوق الإنسان لا يوثق المسألة بوثاق الوفاء بالعهود مروءة ودينا إنما هو مناغمة سياسية."[٣].

يقدم الإمام رحمه الله هذا التأسيس الشرعي المقدس للدفاع عن الإنسانية وحمايتها الدافع الأقوى للمسلمين أن يكونوا "أهلَ وفاءٍ ونجدة وثقة" كما كان سلفهم، بحيث يكون المسلمون أولى الناس بالمحافظة على كل الأعراف والمواثيق الدولية الضامنة لحقوق الإنسان والشعوب[٤]، حتى قال رحمه الله: " وما نُبْرِمُ من اتفاقيات، فلَنْ يزداد ما يتضمنه من مروءة وخير إلا شدة إمامة واستحكاما بمساندتنا ووفائنا، لا سيما الوفاء للمستضعفين في الأرض، والأمانُ للخائفين، والكَفالةُ لكل ذي عَيْلَةٍ."[٥].

٤) حلف الفضول سابقة نبوية في التحالف الإنساني

لقد كان حلفُ الفضول الذي حضره النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة دستورٍ إنسانيّ

(١) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

(٢) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ٢٧٠

(٣) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢٣٩.

(٤) ينظر ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

(٥) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٢٧٠-٢٧١.

ينادي بنصرة المظلوم، والدفاع عن الحق، لذلك يراه الإمام ياسين حلفا"للفضائل والمروءة يُحْمَى بمقتضاه الضعيف والغريب"(١)، فقيمته في مضمونه الإنساني الذي أقره النبي صلى الله عليه وسلم وزكاه حين قال: "لَقَدْ شهِدتُ في دار عبد الله بن جُدعانَ حِلفاً ما أحِب أنّ لي به حُمْرَ النَّعَم، ولو أدْعَى به في الإسلام لأجبت"(٢).

فهذا الحلف يمثل نموذجا نبويا عمليا لميثاق التعاون مع المخالف في قضية مشتركة جامعة ألا وهي قيم العدل والإنصاف، من أجل بناء مجتمع تعددي موحد بالمدينة على قاعدة وثيقة دستورية تضمن الحقوق الأساسية للجميع، ولولا التعاون النبوي مع المخالف من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، والصبر على أذى المخالف ما أمكن الوصول إلى نتيجة بناء دولة من مجتمع تعددي تحكمه العدالة في كل شيء(٣).

وبهذا العمق المقعد النادر في تأصيل القول بالميثاق الإنساني يثبت الإمام ياسين رحمه الله أن الدعوة إلى التحالف الإنساني على قواعد العدالة والإنصاف وحماية حقوق الإنسان ليس مجرد مروءة إنسانية، وإنما يمليها " الأمر الإلهي العَليُّ "(٤)

(١) ياسين، عبد السلام. العدل ص٥١٦.

(٢) البيهقي في السنن الكبرى باب ما جاء في كراهية العرافة، والطبري بسند صحيح في تهذيب الآثار مسند عبد الرحمن بن عوف، وصححه الألباني في فقه السيرة ص٧٢.

(٣) رفيع محماد. المرجع السابق ص١٦٤.

(٤) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٣٢٧.

المبحث الثاني: المسلك التنزيلي لميثاق إنساني عالمي في السياق المعاصر

سلك الإمام ياسين في تنزيل الميثاق الإنساني في السياق المعاصر مسلكا استراتيجيا مرتبا وفق مراحل متدرجة ومتكاملة، تتدرج صعودا من التنزيل المحلي إلى العالمي وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: تنزيل الميثاق على المستوى الوطني

إذا كان واقع الأمة تم تجزيئه مرتين: الأولى بتجزئة الوطن الإسلامي وفق معاهدة "سايس بيكو" الاستعمارية إلى دويلات قطرية، والثانية: تجزئتها داخل تلك الأقطار بالأيديولوجيات والاثنيات والطائفية والمذهبية وغيرها من التناقضات، فإن إعادة بناء هذه الأمة في صيغة مجتمعات موحدة داخل أقطار التجزئة من خلال توافق وتحالف مجتمعي مطلب شرطي لازم للبناء الدستوري للمجتمع، وبدونه يتعذر البناء المطلوب للدولة وتضيع الحقوق الكبرى للجميع لأن " الإنسان الواحد وحدَه لا يستقلُّ بجميع حاجاته بل لا بدَّ من التعاون ولا تعاونَ إلاَّ بالتَّعارف"(١).

من أجل تحقيق ذلك المطلب الشرطي، يقدم الإمام ياسين فكرة الميثاق الجامع حلا عمليا يروم تحقيق مقاصد عملية ويستند إلى قواعد موجهة.

الفرع الأول: مقاصد الميثاق الوطني

من المقاصد العملية التي ينبغي تحقيقها من الميثاق في نظر الإمام:بناء تحالف مجتمعي داخلي: من خلال صياغة دستور جامع تقترحهعلى الأمة جمعية منتخبة، ليكون ذلك منطلقا وتمهيدا لحركية جديدة تتصدى لحل المشاكل الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية المستفحلة(٢)، وعلى رأس هذه المشاكل الجمع بين طوائف المجتمع ومذاهبه واثنياته(٣) في سلك هذا الدستور الجامع، للانتقال من حالة التمزق المجتمعي إلى

(١) السيوطي، جلال الدين، المزهرفي علوم اللغة وأنواعها ٣٤/١.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٢٧٣.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. حوار مع صديق أمازيغي ص٢١٤.

حالة الائتلاف والالتئام، يقول الإمام ياسين: " لأن الانتقال من مجتمع متمزق الأطراف إلى مجتمع متصالح مع ذاته يتطلب توافقاً يلتف حوله الشعب المسلم بأكمله"(١).

فواقع الاختلاف داخل مكونات المجتمع لا ينفي إمكان الائتلاف على المشترك الجامع إذا ما أحسن تدبيره بمعيار الشريعة نصا ومقصدا(٢)، فموجبات الائتلاف بين مكونات المجتمع المختلفة عديدة، ومنها ما ذكره ابن تيمية حين قال: " كل اجتماع في العالم لا بد فيه من التحالف، وهو الاتفاق والتعاقد على ذلك ... فإن بني آدم لا يمكن عيشهم إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم، فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف"(٣).

فللتعاون والتحالف مع المخالف الوطني في جلب العدل ودرء الظلم شواهد كثيرة تفصيلية وإجمالية كلية، نذكر منها(٤): عموم قوله تعالى: " وتعاونوا على البر والتقوى "(٥)، وهو أمر لجميع الخلق أن يعين بعضهم بعضا على البر والتقوى، كما ذهب إلى ذلك القرطبي(٦)، فتقتضي الآية هنا وجوب التعاون والتعاضد على كل ما فيه مصلحة مشروعة تحت مسمى البر، وأولى البر الواجب التعاون عليه بين المؤالفين والمخالفين في هذا الزمان

(١) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٤٩.

(٢) ينظر تفاصيل ذلك في رفيع، محماد. النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف، القاهرة: دار السلام، طبعة١/٢٠١٢م.

(٣) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، تحقيق وتعليق د. رشاد سالم، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، دون ت ولا رقم ط، ص١٢٠.

(٤) ينظر دراسة تأصيلية تفصيلية للموضوع في رفيع محماد، التعاون مع المخالف في درء الظلم وجلب العدل، مقال ضمن كتاب الربيع العربي وأسئلة المرحلة (بالاشتراك)، منشورات مجلة منار الهدى المغربية، الرباط: مطبعة الجودة، طبعة ١/٢٠١٢م، ص١٦٢فما بعدها.

(٥) سبق تخريج الآية.

(٦) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، طبعة٢/١٩٦٤م، ٤٦/٦.

مقاومة أم المفاسد وأصل البلاء وهو الاستبداد وقرينه الفساد[١].

ولولا تعاون النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مع المخالفين من اليهود والنصارى والمنافقين في بناء مجتمع تعددي موحد بالمدينة على قاعدة وثيقة دستورية تضمن الحقوق الأساسية للجميع، ما أمكن الوصول إلى نتيجة بناء دولة من مجتمع تعددي تحكمه العدالة في كل شيء[٢].

فإذا كان بعض التيارات الإسلامية ذات التوجه الظاهري ينفرون من أي تقارب أو تحالف مع المخالف العلماني واليساري والديني، استنادا إلى ما عليه القوم في نظرهم من الكفر والإلحاد وترك الصلاة والصيام وغيرها من شعائر الإسلام، وهو ما يقتضي بغض ما هم عليه وعدم الركون إليهم، فمستندهم لا ينهض دليلا معتبرا يمنع التعاون مع المخالف اليساري وغيره، كما لا يقوى على نقض الأدلة الكلية والتفصيلية السابقة التي تشهد بالاعتبار للتعاون مع المخالف في القضايا المشروعة المندرجة تحت مسمى البر الذي أمرنا بالتعاون عليه، أما من الناحية التنزيلية فالأصل المعتمد في تحديد وترتيب موضوع التعاون مع المخالف في الزمان والمكان هو النظر المصلحي الذي يقدر وجود المصلحة من عدمه في التعاون مع المخالف يساريا كان أو نصرانيا أو غيره.

ويرى الإمام أن الوسيلة العملية في تحقيق مقصد التحالف المجتمعي تنظيم حوار مجتمعي صريح وعلني "يشارك فيه كل حزب سياسي، وكل جزء من المجتمع المدني المتكوِّن، وكل صوت أُخرِسَ أيام تسلط التدجين السياسي، ليعبر الجميع عن رأيه دون إقصاء ودون وسوسة سرية متآمرة. يجب أن نعرض على أنظار الشعب المترقب أسرار الخيانة التاريخية التي سلبتنا مواردنا الخلقية والمادية وأطلقت العنان للارتشاء الذي أصبح أسلوبا طبيعيا يسير حياة الإداريين الفاسدين، المدمنين على كل أنواع الاختلاس والموبقات"[٣].

(١) رفيع محماد. التعاون مع المخالف، المرجع السابق ص١٦٢.

(٢) رفيع محماد. المرجع السابق ص١٦٤.

(٣) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٥٠.

ومن الوسائل العملية الأخرى التي يرى الإمام لزومها في تحقيق مقصد التحالف المجتمعي إعادة بناء مؤسسات الدولة وفق قواعد العدالة والنزاهة، فإقامة العدل في الحكم والقضاء وفي توزيع الثروة ونفي الظلم بجميع صوره ومطاردة الظالمين ومحاسبة الفاسدين ومحاكمة المستبدين وهو ما لا يطبق إلا بالتعاضد والتعاون بين مكونات المجتمع، وتأجيل كل خلاف إلى ما بعد إقامة هذا الركن الركين للحياة الإنسانية، لأن الخلاف لا تحسن إدارته إلا في أجواء العدالة ودولة القانون الضامنة لحقوق المواطنين، وهي الضمانة لتحقيق شرط الاستقرار المجتمعي، يقول الإمام ياسين: "شرطان ضروريان لضمان الاستقرار الاجتماعي في دولة القانون، هما العمل والحق المضمون لكل فرد. لذا لا بد لأمة الإيمان أن تُؤَمِّنَ الحد الأدنى من العدل حتى لا يتضرر أحد، وحتى يتمكن كل فرد من المساهمة بكل اطمئنان في الجهد المشترك. فالظلم الذي سلط علينا من الخارج ليس سوى العقاب العادل للظلم الذي يمارسه بعضنا على بعض"(١).

الفرع الثاني: قواعد مؤمنة للميثاق الوطني:

يحتاج الميثاق الوطني في تحقيق مقاصده إلى إرسائه على قواعد مكينة، تضمن ديمومته وثباته، نذكر منها:

١) قاعدة الحرية والاستقلال:

يحتاج الانجماع على قاعدة الميثاق الوطني إلى التحرر من كل ضغط، والاستقلال عن أي تأثير داخلي أو خارجي من أجل تنفيذآمنلبنود الميثاق، لأنه كما قال الإمام ياسين: " لا يمكن لبنياننا أن يكون راسخا إذا ما أسس على جُرُف الانحراف الهاري، لن نكون سوى نسخ باهتة للآخرين، نسخ جوفاء ميتة، إذا ما تمادينا في استيراد أفكار الآخرين وقيمهم دون تمحيص."(٢).

(١) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٧١.

(٢) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٢٧٣.

ومعلوم أن موجب القول بالميثاق الوطني أصلا هو الحاجة إلى الحرية، والحرية فطرة الإنسان فطر عليها، بحيث لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها، فهي "حق للبشر على الجملة، لأن الله لما خلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيه القدرة على العمل فقد أكن فيه حقيقة الحرية وخوله استخدامها بالإذن التكويني المستقر في الخلقة"(١)، كما أن للحرية وجهها التشريعي الخلقي، وهو ما قصده علال الفاسي حين قال: "الحريَّة جعلٌ قانوني وليس حقاً طبيعياً، فما كان الإنسان ليصل إلى حريته لولا نزول الوحي، وأنَّ الإنسان لم يُخْلَق حراً، وإنَّما ليكون حراً"(٢)، وهو ما سماه راشد الغنوشي ممارسة المسؤولية ممارسة إيجابية(٣).

غير أن سمو قيمة الحرية وضرورتها للإنسان في الوعي الجمعي لمجتمعاتنا تضاءل وكاد ينمحي لطول ما أذلهم الاستبداد وسامهم سوء العذاب، وهو ما يقتضي إعادة تربية المجتمع بتجديد وعيه بذاته وحاجته إلى الحرية، وقد نبه الإمام ياسين إلى خطورة هذا العائق حين قال: "لو كنا أسودا لما قبِلْنَا بغير الحرية بديلا. لكنَّ طباع النعاج فينا، وبلادتها، وخضوعها، أهَّلَتْنَا أن نُخَوَّفَ بالعصا فنخافَ، وأن نُقادَ فننقادَ، لا نَسْألُ عن الوِجهة والهدفِ، وأن تُجَزَّ أصوافُنا، وتُجْزَرَ ذواتُنا"(٤).

ولزوم مبدأ الحرية والاستقلال في تأسيس الميثاق وتنفيذه سبيل ممهد لاستعادة كرامة الإنسان التي انتهكت وتنتهك يوميا بمنتهى الوقاحة في أوطان المسلمين، خصوصا وأن لنا من الدروس والمبادئ في سيرة نبينا عليه السلام بمكة والمدينة ما يعيننا في مد الجسور على قاعدة المواطنة والمروءة بين أهلنا داخل الوطن الواحد كما يرى الإمام(٥)

(١) ابن عاشور أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، القاهرة: دار السنون ودار السلام، طبعة٢٠١٠م، ص١٦٩.

(٢) علال الفاسي، مقاصد الشَّرِيعَة الإسلامية ومكارمها، ط٢، (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٧٩م)، ص٢٤٤.

(٣) ينظر الغنوشي، راشد. الحُرِّيات العامة في الدَّوْلة الإسلامية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط١، ١٩٩٣م ص٣٨.

(٤) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص١٠٧.

(٥) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٥١٧.

٢) قاعدة الغيرة الوطنية الصادقة

يرى الإمام ياسين أن مما يعين على إنجاح فكرة الميثاق الوطني أن تتعاون جميع الأطراف على قاعدة الغيرة الوطنية[١] الصادقة التي تجعل الجميع يحرص على خدمة الوطنوحمايته من أي اعتداء أو اجتزاء[٢]، يقول الإمام ياسين: " على أرضية الإخلاص للوطن، والوفاء له، والاعتزاز بخدمته يمكن أن نمد جسورا للتعامل والتعاون مع ذوي المروآتوالكفاآت، وأن نتحالَف معهم ونتعاهد. ذلك ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة مع المشركين في زمان الجاهلية فيما سمِّيَ "حلف الفضول"[٣].

٣) قاعدة التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر

ثنائيةالتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر تقررت في الشريعة فريضة ماضية إلى يوم القيامة، قال الجويني: " الشرع من مفتتحه إلى مختتمه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر...يثبت لكافة المسلمين إذا قدموا على ثبت وبصيرة "[٤]، وهي الوسيلة التي تراقب بها الأمة أحوالها من أجل استصلاحها لأن "صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[٥]، ويعرف الإمام ياسين ثنائية التآمر والتناهي بقوله: "ما التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر إلا اليقظة العامة، والوعي العام، والمشاركة العامة في الحياة العامة. وهذا هو لب السياسة."[٦]، كما يرى الإمام أن تأمين هذا الحق في الاعتراض يمكن عموم المواطنين من المشاركة الإيجابية في الحياة

(١) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٥١٤.

(٢) ينظر رفيع، محماد. ربيع الشعوب العربية وأصول تدبير المرحلة، مقال ضمن كتاب الربيع العربي وأسئلة المرحلة، المرجع السابق، ص٣٠.

(٣) ياسين، عبد السلام. العدل ص٥١٥.

(٤) الجويني، أبو المعالي عبد الملك. غياث الأمم في الثيات الظلم، تحقيق أحمد عبد الحليم السايح وتوفيق علي وهبة، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، طبعة١/٢٠١١م، ص٢٢٧.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٢٩/٢٨.

(٦) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٨٥.

العامة[١].

ومن شأن هذه القاعدة أن تشيع الحيوية واليقظة العامة في القاعدة الجماهيرية للميثاق الوطني، وإلا فإن تعطيل هذه الفريضة في نظر الإماميفتح الباب واسعا للاستبداد والفساد[٢] وما يتناسل منهما من أوبئة[٣]، تتحول معها جماهير المواطنين إلى"رعية تابعة للحاكم، ساكتة، تنتظر ببلادة ما يقترحه "العبقري" على هرم السلطة، وما يأمر، وما يختار، وما به يجود"[٤].

المطلب الثاني: تنزيل الميثاق على المستوى الإقليمي

ويقصد بالتنزيل في هذه المرحلة الثانيةإقامة ما يسميه الإمام ياسين " ميثاق جماعة المسلمين"[٥]، وهوتوحيد الأمة الإسلامية على قواعد: العدل والإحسان والشورى في ظل الولاية والمشاركة في التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، وذلك وفق الشروط الآتية[٦]:

الفرع الأول: شروط الميثاق الإقليمي

إن مطلب السعي لتوحيد الأمة من شتاتها الطائفي والفكري والسياسي والجغرافي في نظرالإمام ياسين قربة جليلة إلى الله تعالى، يقول: "ما يرجح ميزان العبد المتقرب إلى الله عز وجل الموالي لأوليائه المعادي لأعدائه إن لم يكمِّل سلوكه بالسعي الجاد في ترجيح وحدة الأمة على شتاتها وترجيح جمعها على فرقتها"[٧]، غير أن تحقيق هذا المسعى الحضاري التاريخي

(١) ينظر ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٩٠.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. في الاقتصاد البواعث الإيمانية والضوابط الشرعية، البيضاء: ط٢/٢٠٠٣م.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٩٣.

(٤) ياسين، عبد السلام. الشورى والديمقراطية ص ٤٨؟

(٥) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص ٥٣٢ و ٥٣٩ و ٥٤٢، وحوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص ٩٠، وغيرهما، وقد فصل القول في هذا المفهوم في كتابه " جماعة المسلمين ورابطتها".

(٦) تنظر تفاصيل وحدة الأمة وشروطها عند الإمام في رفيع، محماد. مراجعات في التراث المقاصدي والأصولي والفقهي عند الإمام ياسين في مبحث المقصد الشرطي: وحدة الأمة، والكتاب قيد الطبع.

(٧) ياسين عبد السلام، الإحسان، مطبوعات الأفق، ط١/١٩٩٨م، ٤٠٢/٢

للأمة يتوقف على جملة شروط: وهي جملة المبادئ التي قامت عليها وحدة الأمة أصالة زمن النبوة والخلافة الراشدة، وعليها يتأسس التوحيد المطلوب استئنافه في هذا الزمان وما تلاه بمنه تعالى وفضله.

١) النظام السياسي الشوري:

إن توحيد الأمة على الصورة الحضارية المطلوبة شرعا التي تجعل الأمة قادرة على أداء وظيفتها الاستخلافية في الأرض، والتمكين لدين الله في العالمين لا يتأتى إلا في إطار نظام سياسي قائم على أصل الشورى تأسيسا وتدبيرا، بحيث يضمن إقامة العدل وإشاعة الإحسان في الأمة، ويضع الحد لوباء الاستبداد والوراثة في الحكم الذي جلب الفساد والدمار في مجتمعات الأمة منذ قرون، يقول الإمام ياسين: " ننظر من أعلى لنتبين أهمية الوحدة التي لا تمكن إلا بالحكم الشوري الضامن وحده أن يسود العدل والإحسان "[١].

والأمة إنما توحدت حقيقة ضمن إطار نظام سياسي مؤسس على ثلاثة أصول: الشورى والعدل والإحسان طوال مرحلتي النبوة والخلافة الراشدة، وبدأت هذه الوحدة في التشتت منذ فاجعة الانقلاب الأموي على الحكم الشوري، وتحويله إلى نظام وراثي عشائري يقوم على حد السيف، ولذلك تعين أن يكون المدخل الصحيح لتوحيد الأمة شريعة الشورى والعدل والإحسان، كما كان الأمر في الابتداء، يقول الإمام: "إن شريعة الله عز وجل الخالدة بها صَلُح أمر الخلافَة الأولى، وبها يصلُح مشروعُنا وإن العمرانَ الأخوي، وهو مطلَبُنا الاجتماعي السياسي، على مَهْيعِ تحقيقه تتوحد الأمة، وبحافز ضرورة التوحيد تجتمع جهود القومة "[٢].

والأمة حين أبدعت في إشاعة قيم العدل والحرية والسلام في العالمين في ظرف تاريخي قياسي لا يتجاوز ثلاثين سنة، إنما كان ذلك على أساس توحد الأمة على الشورى

(١) ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٥٦.

(٢) ياسين عبد السلام، العدل ص٢٩٨.

والولاية العامة بين المسلمين، يقول الإمام:"تسوقُ الوَلايَةُ والشورى الأشتات القطرية إلى الوحدة."[١]، فليست الشورى مجرد مسطرة تدبيرية للشأن العام وإنما هي إطار حضاري قيمي يعكس الإرادة الجماعية للأمة، وقد شبه الإمام موقع الشوربفي الأمةب"الجسم الذي تتجلى فيه إرادة الأمة ووحدتها واستقرارها "[٢].

ويدفع الإمام ياسين كل توهم أن النظام السياسي الشوري الجامع للأمة نظام أحادي حديدي، وإنما هو نظام مؤسس ابتداء علىالولاية والمشاركة في التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، من حيث هي رقابة دائمة لتدبير الشأن العام، يقول الإمام: " فميثاق جماعة المسلمين من عهده أن ينص على حق المعارض من داخل أو خارج. علماأن المعارض الذي يكشف الحقائق، ويظهر المخفي، ويفضح الخبايا من الرذائل يسدي للأمة خدمةجليلة، حتى ولو كان خارج الدائرة."[٣].

ويذهب الإمام ياسين بعيدا في التصوير الواقعي لهذا الاجتماع السياسي على أساس ميثاق الأمة، حين يقدمه اجتماعا توافقيا متنوعا في رؤاه ومتعددا في مذاهبه السياسية، يقول الإمام: "ميثاق جماعة المسلمين لن يكون غلا في الأعناق يلزم أحدا ما لا يحب أن يلتزم به، بل هو اختيار ضروري ترسم به الطبقة السياسية الواعية المتصارعة مواقعها، وتعرف باستراتيجيتها داخل أو خارج المشروع الإسلامي."[٤].

٢) البناء التربوي والسعي الجهادي:

يقدر الإمام ياسين مطلب التوحيد حق قدره، فيلح على أن تكون انطلاقة السعي إلى تحقيق هذا المطلب على الأساس التربوي الإيماني الذي ينبت القدرة على التحمل والصبر

(١) ياسين عبد السلام، المصدر السابق ص٥٥٦.

(٢) ياسين عبد السلام، سنة الله، البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، طبعة١/٢٠٠٥هـ، ص ٣٠٩.

(٣) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٩٠.

(٤) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٩١.

جهادا إلى نهاية التوحيدّ بعيدا عن أسلوب العنف[١] يقول الإمام في تقرير المنطلق التربوي للتوحيد: " لن نستعيد الوحدة الضائعة، ولا الشوكة المخضودة المكسورة، ولا الشورى ولا العدل إن لم نُعِدْ تربية أنفسنا على الإيمان والإحسان "[٢].

وموجب الربط بين التربية الإيمانية والتعبئة الجهادية أمران: أحدهما التأسي بخطوات النبي صلى الله عليه وسلم في توحيد الأمة في ابتداء أمرها، وهي الخطوات التي لم ينفك فيها الجانب التربوي عن الجانب الجهادي، والثاني استفحال داء الغثائية وكارثة التفتت في الأمة، يقول الإمام مؤكدا هذا الموجب"إنما نبرأ من المرض المتوغل ونتحرر من الحمل القاصم للظهور باليقظة الإيمانية والهبة الإحسانية والتعبئة الجهادية. ومع يقظتنا وهبتنا إلى الجهاد نحتاج إلى الاستفادة من تجارب تاريخنا وإلى عرض ما نتج عن أوزار الماضي وسلبياته نستخرج منه دروسا إيجابية لتاريخ مستأنف"[٣].

ومن أجل التعويل على هذا المسلك في استئناف توحيد الأمة في هذا الزمان، ألفينا الإمام ياسين يوصي الإسلاميين" الغادين إلى سدة الحكم أن يُجِلُّوا الجهاد مكانته العزيزة،وأن يحرثوا في أرض الإيمان عند الخاصة والعامة عقيدة التوحيد، لُحمتها وسداها المحبة الأخوية والعدل والبذل، وحصنُها اللازم الضروري قوة الجهاد"[٤].

فبهذا الترابط بين التربية الإيمانية والتعبئة الجهادية في التماس توحيد الأمة نكون قد أنجزنا بعبارة الإمام واجبا مقدسا " وحركة ضرورية لتعبئة الشعوب المسلمة حتى تتبنى مشروع التوحيد وتتجاوز يوما ما ضيق محابس الدولة القومية "[٥]، غير أن هذا المسلك وإن بدا عسيرا وطويل المدى لكنه أصيل المضمون ومحمود النتائج، وهذا ما نبه إليه الإمام حين قال:

(١) ينظر ياسين، عبد السلام. الشورى والديمقراطية ص١٦٤.

(٢) ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٤٩.

(٣) ياسين عبد السلام، المصدر السابق ص٤٩.

(٤) ياسين عبد السلام، العدل ص٢٣٣.

(٥) ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، مطبوعات الأفق، ط١/٢٠٠٠م، ص٣١٦.

" فإذا قلنا بضرورة اليقظة الإيمانية والهبة الإحسانية والتعبئة الجهادية فإننا لا نتصور مراحل يتهيأ فيها لجند الله هدوء الخلوة وصفاء العشرة وحلاوة الأخوة بعيدا عن ضوضاء الأحداث، خارج التاريخ الصاخب"(١)، بل إن السعي الجهادي الإيماني إلى تحقيق مشروع توحيد الأمة من شتاتها يقتضي في منظور الإمام "دخول المعمعة، واقتحام العقبة، ومخالطة المجتمع، وخوض غمار الجهاد والمجتمع مفتون سادر في خموله أو هيجانه، والأفكار في تفاعل، والاتجاهات السياسية في تصارع، والتخلف الصناعي والعلمي والاقتصادي ضارب أطنابه، وحكام الجور في كيد يكيدون، ومن خارج رحى الجاهلية تطحن"(٢).

وإنجاز هذا المشروع وسط تلك التحديات يقتضي التحلي بأعلى درجة من الصبر وطول النفس وعدم استعجال الوفاق عملا بأصل التدرج الواجب اعتماده في معالجة موضوع من حجم توحيد الأمة التي بدأ مسلسل تمزيقها منذ قرون، يقول الإمام ياسين: " لا ينبغي أن نؤجل الحوار، ولا أن نستعجل الوفاق، ولا أن نيأس لما نراه خلفنا من أهوال تاريخية. فإن تحولنا عن المواقف العاطفية، وعمقنا معاني الرحمة الأخوية الجامعة، فعسى بأذن الله جلت قدرته برجوع المياه إلى المجرى الأول"(٣).

٣) نظم الاختلاف في سلك الائتلاف:

إن الحديث عن التوحيد يقتضي لزوما تدبير واقع الاختلاف الحاصل في الأمة منذ قرون، وذلك بتوسيع وتنمية دائرة الائتلاف حتى تنتظم قضايا الاختلاف، ومن أجل ذلك دعا الإمام ياسين في بداية مسلك التوحيد إلى بناء المرجعية الأصولية المشتركة وتجاوز الكثير من تفاصيل الخلاف ضرورة، حيث يقول: " إن وحدة الأمة إنما تتاح بالرجوع إلى أصولها الثابتة بالكف عن تغذية ذكريات المآسي وشرحها إلا بمقدار ما تحصل العبرة. وإن الإغضاء

(١) ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٥٠.

(٢) ياسين عبد السلام، المصدر السابق ص٥٠.

(٣) ياسين، عبد السلام. الخلافة والملك، البيضاء: مطبعة الأفق، ط١/٢٠٠١م.ص٥٢.

الكريم عن فروع الخلاف ضروري ليتسنى لنا الحفاظ على ما يجمعنا."[١]، لأن اعتماد الخلاف أصلا بين فرقاء الأمة يقلل من دائرة الائتلاف الذي هو الأصل ويزيد المفتت تفتيتا، وهو ما يناقض مقتضى الوحدة، يقول الإمام: " إن تأسيس مستقبل الوحدة لا يمكن أن يعتمد خلافا مذهبيا يُتخذ بمثابة الأصل. وإلا حكمنا على أنفسنا بسرمدية الخلاف والانشقاق، إن لم نزد الانكسار التاريخي تفتتا بما يستجد من مواقف متناقضة بين أعضاء أمة"[٢].

وجل الخلاف الحاصل بين الأمة ليس في أصول العقيدة كالتوحيد والنبوة والمعاد، ولا في أصول الشريعة من صلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها، وإن ادعت بعض الطوائف أنها من الأصول، فتوحيد النظرة بعد حين على مستوى الأصول والكليات يمكن أن يتحقق بمد جسور التعاون الفعلي الصادق[٣]، مع الإبقاء على مساحة واسعة من الخلاف المذهبي الذي يصبح بمقتضى الائتلاف على مستوى الأصول الكبرى غناء فكريا وتنوعا اجتهاديا، قال أبو زهرة: "لسنا نقصد محق الطائفية وإدماج المذاهب الإسلامية في مذهب واحد، فإن ذلك لا يصلح أن يكون عملا علميا ذا فائدة يحمده العلماء، لأن كل مذهب مجموعة من المعلومات أقيمت على مناهج تتجه في مجموعها إلى النصوص الإسلامية والبناء عليها، وهي ثمرات جهود لأكابر العلماء، وكل إدماج فيه إفناء، وليس من المصلحة العلمية في شيء إفناء أي أثر فكري مهما يكن نوعه، فلا مصلحة في إفناء ثمرات تلك الجهود التي قامت في ظل القرآن والسنة الصحيحة الثابتة."[٤]

(١) ياسين عبد السلام، المصدر السابق.

(٢) ياسين عبد السلام، المصدر السابق

(٣) ينظر ياسين عبد السلام، المصدر السابق.

(٤) أبو زهرة، محمد، الإمام زيد: حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي (دون تاريخ ط. ولا مكانه) ص١١.

٤) الوعي الإيجابي بعلل التفرق وموانع التوحد:

لا يستقيم الحديث عن توحيد الأمة وإخراجها من واقع التشتت والتجزئة ما لم يتم ذلك على أساس من التبصر العميق بالعلل التاريخية المنشئة لداء التمزق في الأمة، وعوائق جهود التوحيد في الواقع المعاصر، وبذلك يتم وضع الخطط الصحيحة الناضجة لجهود توحيد الأمة، يقول الإمام ياسين: " نحتاج إلى الاستفادة من تجارب تاريخنا وإلى عرض ما نتج عن أوزار الماضي وسلبياته نستخرج منه دروسا إيجابية لتاريخ مستأنف"(١).

٥) الوعي بمنشأ الخلاف وعوامل إدامته

وفي مراجعتنا لتاريخ التفرق في الأمة وجب التمييز بين منشأ الخلاف ومنطلقه وبين عوامل استمراره وإذكائه، يقول الإمام ياسين في بيان منشأ التمزق وتطوره: " نقضت وحدة الأمة بانتقاض الحكم. وضعف الإسلام التاريخي بنيةً منذ انفكَّت تلك العروة. وكل ما نشأ من حروب داخلية بين المسلمين، ومن فتن مذهبية، ومن مروق وزندقة، ومن انحراف في العقيدة وثورة وعنف فإنما مرده بعد تعميق النظر إلى ذلك الانفصام الأول."(٢)

وقد تمخض عن تلك الفتن المدلهمات التي ابتليت بها الأمة نشوء هيجان عاطفي عمق جرح التمزق وحال دون الوحدة، يقول الإمام ياسين: " نعالج مرضا واحدا، هو مرض الهيجان العاطفي الذي فتك بوحدة الأمة ولا يزال يفتك"(٣).

٦) الوعي بواقع التجزئة الموروث

إن طموح التوحيد وجهوده يصطدم بما عليه الأمة من واقع التجزئة الموروثة التي تَنَزَّلَ عليها التقطيع الاستعماري، وتولد عن ذلك التشرذم المتفاقم(٤)، مما يجعل المسكونين بهم توحيد الأمة يتساءلون بحق:" من يقود دويلات التجزئة؟ من يُموّلهم ويسلحهم؟ ما بال

(١) ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٤٩.

(٢) ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٥٢.

(٣) ياسين عبد السلام، الإحسان ٤٠٢/١.

(٤) ينظر ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة ص٣١٦.

الأهوال الجسام تقرب شعوب الأرض لتتعاون، وتباعد بين المسلمين الحاصلين في قبضة الحكم المستبد الأناني، وقبضة الدعاة المفرقة المخربة، وقبضة الأمية السياسية، والأمية التاريخية، والأمية الأمية؟"[١]، وهذا ما ينبغي فهمه في سياق الترابط الجدلي بين المقدمات ونتائجها والعلل ومعلولاتها في تاريخ الأمم، وأن الأمة الإسلامية ليست بدعا من تلك الأمم في سياق هذا القانون الكوني.

٧) الوعي بالكراهية الطائفية

من عوائق مشروع التوحيد التي يتوجب دفعها جملة تمثلات وتصورات سلبية تؤطر العلاقة بين طوائف الأمة، حيث نشأت كل طائفة على تمثلات الكراهية تجاه نظيرتها، ودرجت عليها سنين عددا وغذتها صراعات وحروب تاريخية وأحقاد، وترجم بعضهم ذلك في كتب تؤسس للحقد الطائفي دون تحقيق علمي، يقول الإمام ياسين: " أهل السنة والجماعة طوائف منهم من يُسيء الظن بكل ما سُمِّيَ شيعة ويُفيض كراهيته على الصوفية لِمَا عَرَفَ من حب الأولياء الشديد لآل البيت. وإنك لتقرأ المطوَّلات من الكتب في صلة التشيع بالتصوف وصلتهما بالباطنية. وما هو إلا خَرْصٌ ورَهْصٌ"[٢].

٨) تحكيم المرجعية المشتركة وتصحيح الأخطاء

الواجب العاجل تصحيح تلك التصورات ودفع تلك التمثلات من منطلق علمي يستند إلى أصول الشريعة ومقاصدها الجامعة لأطراف الأمة وطوائفها ومذاهبها كالقرآن ومحبة آل البيت، يقول الإمام ياسين: " نلتفت فنجد الأمر القرآني بوحدة الأمة، فيتعين علينا أن نلتمس جسورا لِلَمِّ شَعَثِ المسلمين من شيعة وسنة، وليس من جسر أشرف ولا أطهر ولا أمتن من محبة آل البيت والوفاء لآل البيت، السلام على آل البيت ورحمة الله تعالى وبركاته"[٣].

(١) ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٤٨.

(٢) ياسين عبد السلام، الإحسان ٤٠٢/١.

(٣) ياسين عبد السلام. المرجع السابق.

ومن أوجه التصحيح لجم العقليات المقلدة التي تشربت الحقد الطائفي وما زالت تنفثه في الأمة في تناقض صارخ مع مطلوب القرآن ومقصود السنة، وقد ألفينا الإمام ياسين يستنكر بحرقة فعل العقلية المقلدة في تمزيق الأمة حين قال: " يا من يقرأ القرآن بعقل يعقل عن الله لا بذهنية تقلد، بقلب يخشى الله ولا يخشى الناس، كيف تفرق بين شطري الأمة سنة وشيعة طائفة ممن لا يعقلون وأنت ساكت؟ كيف ترى نباشي الخلافيات سفلة القراء يعيثون فسادا وتلزم الحياد؟"(١).

٩) **التوحيد صلاح الأمة أفرادا وجماعة:**

المطلوب في إنجاز مشروع التوحيد أن يتحول من مجرد شعار إلى ثقافة إيمانية مبدئية عامة بين أفراد الأمة، بحيث يتحول مطلب التوحيد إلى حاجة فردية وجماعية في الأمن الاجتماعي من غوائل الظلم والاستكبار، يقول الإمام ياسين في ربط مصلحة الفرد بوحدة أمته: " وحدة الأمة أمر من الله، فأنا أجاهِد لتتوحد الأمة وتقوى ويَصلُحَ أمرُ دنياها. وفي صلاحها بالوحدة والقوة صلاح أمري. إقامة العدل الاجتماعي في الأمةِ يؤمِّنُني من غوائل المستكبرين، وذلك لدنياي وآخرتي. ويحفظني من الانزلاق والانسِلاك في صف المستكبرين، وذلك لآخرتي أنا ودنيا أمتي"(٢).

ومن الحوافز القوية التي استطاع الإمام ياسين أن يربط بها مطلب التوحيد شعور الجميع بالمسؤولية الأخروية والدنيوية في ضياع وحدة الأمة وفيما ترتب عنها من واقع التجزئة والمهانة الحاصل، فيقول: " نُغصُّ بمعاشنا هذا الكئيب غُصتين، غصة الدنيا بما قعدنا وعجزنا عن الجهاد، وغصة الآخرة بما ضيعنا من وحدة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت تلك الوحدة ولا تزال شرط حياتنا"(٣).

(١) ياسين عبد السلام. نظرات في الفقه والتاريخ ص٤٧.

(٢) ياسين عبد السلام. حوار مع صديق أمازيغي، البيضاء: مطبوعات الأفق، طبعة١/١٩٩٧م، ص١٢٣.

(٣) ياسين عبد السلام. نظرات في الفقه والتاريخ ص٥١.

الفرع الثاني: المسلك العملي للتوحيد:

نقصد بهذا المسلك بحث سبل الجمع بين طرفي الأمة المتنافرين المتخاصمين منذ قرون: السنة والشيعة ابتداء، وقد أولى الإمام ياسين هذا الموضوع عناية كبيرة في مختلف كتاباته حاولنا استقراءها وتلخيصها على النحو التالي(١):

لعل المدخل الصحيح الذي يقترحه الإمام لمعالجة هذا الإشكال يبدأ بدراسة منشأ الخلاف بعمق وصدق و مراحل تطوره وتعقده واستفحاله تحت ضربات الفتن السياسية المؤلمة طوال عهود العض، وذلك بعد معرفة وإبراز الأصل الذي شجر منه الخلاف ودراسة الأصول التي يتشبث بها كل طرف، ويؤسس عليها مواقفه ومذهبه، وخصوصا أصول موقفي المساندة والمعارضة لسلطان العض(٢)، وذلك بحثا عن مخرج علمي معتبر، يجمع بين تلك الأصول، بحمل بعضها على بعض، ليطوى الخلاف من أساسه علميا، ويفتح المجال لطيه عمليا على مدى زمن ليس بالقصير تفعل فيه التربية فعلها.

ومن القضايا الإجرائية التي ينبغي البدء بمعالجتها البحث عن سبل تحرير علماء الشيعة من قبضة العوام، وعلماء السنة منقبضةالحكام، فهي العقبة الكأداء التي تقف أمام كثير من جهود الوحدة، وتزيد من تعميق الفرقة بين الطرفين، بعدها يمكن الانتقال إلى القضايا الموضوعية التي ينبغي دراستها بعمق في هذا المجال : قضايا الشورى والعدل التي أمر الله بها في القرآن قطعا وإجمالا، وقضت بها السنة بيانا وتفصيلا، وأحاديث الطاعة لولي الأمر الواردة مطلقة ومقيدة، وكذلك الوصايا النبوية بآل البيت، كحديث غدير خم، وحديث رزية الخميس، وغيرها من الأحاديث التي تشكل نصوصا حيوية لدى المسلمين الشيعة(٣).

ومن زاوية أخرى لابد من دراسة مباحث الاجتهاد زمن العض، واستحضار خطورة هذا

(١) ينظر منها نظرات في الفقه والتاريخ ص٢٦ فما بعدها، والإحسان ٤٠١/١ فما بعدها، والقرآن والنبوة ص ٢٠ وما بعدها، والإسلام والحداثة ص٦٢ وغيرها.

(٢) ينظر ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه والتاريخ ص٢٦.

(٣) ينظر ياسين عبد السلام. المصدر السابق ص٣٤.

الزمن وفتنه المتلاطمة، لندرك السر في التفاوت الحاصل بين العلماء، وعلى رأسهم الصحابة في تقدير مصلحة الأمة، وتعيين المفسدة الكبرى التي تدرأ بالمفسدة الصغرى، ومدى إعمالهم لفقه الضرورة، إلى غيرها من القضايا التي بدراستها تجلو الرؤية وتبرز الحقائق.

المطلب الثالث: تنزيل الميثاق على المستوى العالمي

فقد تنامت دعوات عقلاءالإنسانيةوقادتهافيالعلموالسلطةوالدين والمالإلىتقويمهذا النظامالقيمي السائدفيالعالممنذالقرنالسابععشر،والتفكيرفيالمستقبل المشترك، وذلك لكثرة المعاناة الشديدة التي أنهكت إنسانية الإنسان، وأنسته في قيم التعاون والتضامن وحسن التجاور، وأغرقته تلك المعاناة في الأنانية القاتلة.

فالإنسانية المعاصرة في حاجة إلى إعدادميثاقإنسانيجديد،تشاركفي صياغتهجميعالدول،يكونهو" ميثاقالمخالقةالإنسانية" التي لا تتقيد بوطن معين ولا بدولة محددة بتعبير طه عبد الرحمن(١)،يتم بمقتضاه نصرة المستضعفين في الأرض مهما كان دينهم ولونهم وجغرافيتهم، ورفع كل أشكال الظلم والاستغلال في الأرض.

فالأمة الإسلامية هي المؤهلة الآن لقيادة هذا التحالف الإنساني الحضاري إن اصطلحت مع ذاتها واستجمعت قواها على الشروط السابقة الذكر، خصوصا وأن غيرها من الدول الأوربية وأمريكا لهم من القصص المأساوية مع شعوب كثيرة في مختلف أنحاء العالم استعمارا وتقتيلا ونهبا واستعبادا واحتلالا ما يجعلهم موضع محاسبة حين تستعيد الإنسانية إنسانيتها وقوتها.

الفرع الأول: أولويات الميثاق الإنساني:

ويقصد بأولويات ميثاق هذا التحالف الإنساني المنشود القضايا الملحة التي يمكن أن تكون موضوعه،وهي جملة أولويات في الواقع العالمي الحالي والمستقبلي، تستطيع الأمة

(١) ينظر طه، عبد الرحمن.من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط٢/2016م، ص37.

الإسلامية أن تبلي فيها البلاء الحسن، نذكر منها:

١) أولوية العدالة الإنسانية:

من مظاهر الظلم العالمي وغياب العدالة الإنسانية في نظر الإمام ياسين ما يتعلق بقضايا "توزيع العمل بين دول الشمال ودول الجنوب، وتوزيع الثروة، والغِذاء، وإنتاجه، وأسعار المواد الخام، والأخطار المحيطة بالبيئة والمهددة لمستقبل الأجيال البشرية ربما أكثر من تهديد الانفجار النووي، وارتفاع درجة الحرارة في محيط الكوكب من تبعات التصنيع المعمم، وانخراق طبقة الأزون الحامية، وسوء استعمال الطاقة، والإسراع إلى الربح الناجز الذي يضيع على المستضعفين الطامحين في التنمية الفرص ويُجرعهم الغصص. آفات تلويث البيئة وظلم الإنسانِ وتفاقم الفجوة بين الأغنياء والفقراء. قضايا تحتاج أن تناقش وتحل بأخلاقية كوكبية"(١).

فهذه القضايا الإنسانية العويصة في نظر الإمام لا يملك تقديم رؤية حضارية إنسانية لها إلا خطاب الوحي الذي ورد فيه النص على العدالة بأقوى صيغة للتكليف والإلزام في قوله تعالى: ﴿إن الله يامر بالعدل والاحسان﴾ (النحل من الآية ٩٠.)، كما ورد مقصدا أسمى لبعثة الأنبياء والرسل في قوله سبحانه: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد من الآية ٢٤) ، فاكتسب العدل بذلك معنى أعم وأشمل حتى عده ابن عاشور " الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات "(٢).

إذا كان العدل الاجتماعي مقصد الشريعة الأسمى وطلبة كل المستضعفين في الأرض، فإنه لا يتم إلا بالتوازن العادل بين الإنتاج والتوزيع الرشيد للثروات بين العباد، وذلك لتقليص الهوة بين فقراء الأرض وأغنيائها، وهذا تجل أعظم للعدالة الشرعية، في تدبير منافع

(١) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٨١.

(٢) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ٢٥٤/١٤ ، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس بدون تاريخ.

الناس، فقد أكد النورسي[١] أن من مقاصد الشريعة ألا تتكدس ثروة الإنسان بيد الظالمين، ولا يكنزوها مستشهدا بقوله تعالى: ﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩)، وقوله سبحانه: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾ (التوبة: ٣٤).

٢) أولوية حفظ حقوق الإنسان:

يميز الإمام ياسين رحمه الله بين القول الزور وقول الصدق في موضوع حقوق الإنسان، ذلك أنه أصبح شعار العالم إن صدقا وإن كذبا، غير أن التوظيف النفاقي لحقوق الإنسان لا ينبغي أن يخفي عنا في نظر الإمام ياسين عمقه الإنساني وأولويته الزمنية في اتخاذه أساسا للميثاق الإنساني، يقول الإمام رحمه الله: " وما هذا النداء الكريم، (حقوق الإنسان) لو لم يرفع به خسيستهم منافقون، إلا المروءة الكبرى التي ينبغي أن يجتمع عليها بنو الإنسان ويجعلوها ميثاقا لإنسانيتهم."[٢].

وعليه فإن الإمام ياسين يرى في الدعوة الصادقة إلى حقوق الإنسان من قبيل حق الشعوب في تقْرير مصيرها، والحقوق المدنية، والسياسية، والاقتصادية. وحق الإنسان في الحرية والعدل، وحق المرأة والطفل، وحق العمل والصحة والتعلم، وحق السكن الكريم، وحق المرضى والعجزة، وحق الحفاظ على الكوكب الأرضي نظيفا، دعوة ضمير إنساني تستحق منا كل التقدير والاحترام[٣].

وإن من أبرز حقوق الإنسان الفردية والجماعية المنتهكة الحرية في الاختيار والحرية في العيش الكريم، فكل الشرائع والقوانين والديانات والحضارات في الدنيا تجمع على أن الإنسان كائن حر لا يقيد بقيود الظلم، فطر على الحرية، وهي أصل وجوده، قال المقاوم المغربي محمد

(١) ينظر النورسي، المصدر السابق ص ٨٩٥.

(٢) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٠.

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٣١٧.

بن عبد الكريم الخطابي: " الحرية حق مشاع لبني الإنسان"[١]وهذا ما قررته الشريعة الإسلامية حين نفت كل أنواع الإكراه التي تسلب للإنسان حريته وتنفي إرادته ولو تعلق الأمر بالمعتقد الديني، قال تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال سبحانه مخاطبا نبيه: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية الآية ٢٢)، ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ (ق: ٤٥)، وقال سبحانه: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس: ٩٩)، وغيرها من الآيات الكثيرة المؤسسة لأصل الحرية.

فإذا كانت الحرية حاجة فطرية أصيلة في الإنسان من حيث هو إنسان، وشرطا من شروط وجوده الاستخلافي وعطائه الإبداعي، فإن تعاون جميع خلق الله لإرساء مبدأ الحرية والعمل على تأمينه من أي اعتداء أولوية عظمى تقدم على ما سواها من القضايا الخلافية.

وقد قرر الإمام ياسين بجلاء أن "الدفاع عن حرية الإنسان وكرامته مشروع المستقبل وقضية مقدسة."[٢]، لكن على أساس"ميثاق رفق شامل بالإنسان وبأمن الإنسان، ميثاق رفق فعال ونشيط وباذل"[٣]، وذلك من أجل القضاء على ما تعانيه الإنسانية من أوبئة "الإقصاء والحقد العنصري واحتقار خلق الله عز وجل والعنف على الإنسان والوسط الحيوي للإنسان."[٤].

٣) أولوية التعارف والتعاون:

يذهب الإمام ياسين إلى أن موجبات التعارف والتعاون بين بني الإنسان كثيرة[٥]، وأبرزها وأقربها م تعيشه الإنسانية في مناطق كثيرة من العالم من فتن الزلازل والصواعق

(١) من أقواله المنشورة في: www.marokpress.com

(٢) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٣.

(٣) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق. ص٢٢.

(٤) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

(٥) وقد ذكرنا من مقتضيات التعارف بين الناس على اختلافهم ديانة ولسانا ولونا وثقافة أصولا في المبحث الأول عند حديثنا عن التأصيل الكوني.

والحروب والأوبئة والمجاعة وغيرها مما يفرض "ضرورَة التضامُن بين البشر، ووجوبَ المسارعة إلى إغاثة الملهوف والمنكوب، والمصاب من أيِّ ملة كان. فمن حق الآدمي، كرامةً لآدميته، أن يتمتع بمواساة إخوانه الآدميين طِبْقا لمقتضيات الرحِم الإنسانية التي يوصي بها الشرع."(١).

فحقيقة التنوع والاختلاف التي عليه الناس أمما وقبائل إنما ينبغي أن تفضي إلى تحقيق مشترك التعارف والتعاون بما هو تبادل اجتماعي وثقافي وتعايش حضاري، وذلك على قاعدة المساواة، ودونما تمايز أو استعلاء من أي طرف، قال ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية: " أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون لأن تتعارفوا، ولأن تعرفوا الحقائق، وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب "(٢).

فإشاعة ثقافة التعارف وبناء علاقة التعاون بين أمم الأرض ومجتمعاتها وثقافاتها وحضاراتها، من شأنه أن يزيل فتيل التوتر بين الدول، ويقلل من النزاعات والحروب بين الأمم، ويعمل على تنمية آفاق التواصل الحضاري وتعدد أشكال عمارة الأرض.

٤) أولوية السلم العالمي:

يذهب الإمام ياسين إلى أن الأصل في تعايش أهل الأرض الأمان والاستقرار العالمي(٣)، حتى يتم التواصل الحضاري والتبادل الثقافي بين المجتمعات الإنسانية، وهو الجو الذي يصلح لتبليغ دعوة الله للعالمين، " وهي دعوة رفق لا عنف، وصدق لا نفاق، وترغيب لا ترهيب، واختيار لا إكراه. وأفضل مناخ لتبليغ رسالتنا هو السلام في العالم والتواصل والتعارف والرحمة."(٤)، فالمصلحة العظمى للمسلمين في نظر الإمام "أن يسودَ الاستقرارُ والسَّلمُ ورعايةُ المصالح المشروعة لكل الدول"(٥).

(١) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص١٠٤.

(٢) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز ١٥/١٥٤، تحقيق المجلس العلمي بتارودانت، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٩١م

(٣) ينظر ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٣، وسنة الله ص٣٠٦.

(٤) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٢١٤.

(٥) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٢٧٤.

والإمام أدرك تماما أنمن مقاصد الشريعة العامة حفظ نظام التعايش بين الناس في الأرض[١]، لأن الإسلام رسالة رحمة للعالمين، ولا يتم التواصل والتفاعل الإيجابي مع هذه الرسالة إلا بانتفاء عوامل التوتر والإكراه والحروب التي تفتن الإنسان وتصرفه عن سماع الخطاب الرباني، وسيادة الأمن والوئام، لذلك ألفينا القرآن يرسي قواعد السلام والأمن بين الناس جميعا، وأمر المؤمنين أمر إلزام بالدخول ابتداء في السلم فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ (البقرة من الآية ٢٠٨).

وحقيقة السلم المأمور به في الآية عند الطاهر بن عاشور الصلح وترك الحرب والمسالمة[٢]، وذهب رحمه الله إلى أن الآية دالة على أصالة السلم ومبدئيته في الإسلام، وهو رفع التهارج[٣]، ومعنى ذلك أن اللجوء إلى الحرب حالة استثنائية مضبوطة يقتضيها واجب حماية السلام في العالم، وحين تنتفي عوامل الإخلال بالسلام يصبح من الواجب بمقتضى الأصل الرجوع إلى قواعد السلام، وهذا ما تؤكده قواعد التعامل مع العدو المحارب في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال الآية ٦١).

وهكذا يظهر جليا أن القرآن الكريم يرسي قواعد بناء السلم العالمي وأسس نظام التعايش على الأرض بين خلق الله أجمعين، لأنه شرط أساس في تحقيق مقصد التعارف والتعاون والتبادل بين مختلف الثقافات والحضارات والمجتمعات، وهو مطلب مشترك عزيز الآن لشعوب العالم ينبغي أن يسعى الجميع صدقا وعلى رأسهم المسلمون لإنهاء حالات التوتر والحروب التي تجري الآن في مختلف مناطق العالم.

ويرى جمال الدين عطية أن من وسائل حفظ السلام " إيجاد تنظيم دولي يحقق الأمن الجماعي، وتنظيم التعاون في المجالات المختلفة وترتيب المعاهدات بين الدول والإشراف على

(١) ينظر علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، ص ٤٢ و ٦٣.

(٢) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ٢/٢٧٥.

(٣) الطاهر بن عاشور، المصدر السابق ٢/٢٧٨.

تنفيذها "[١]، بديلا عن منظمة الأمم المتحدة بأجهزتها التي عجزت عن تحقيق الهدف الرئيس الذي أسست من أجله، وهو السلم العالمي[٢]، وذلك لاختلالات في تأسيسها ابتداء وفي تدبيرها انتهاء، فقد تأسست على قاعدة: المنتصرون هم من يفرض نظامهم بعد الحرب، فتشكل أعلى جهاز فيها المسؤول عن السلم العالمي من خمس دول فقط تسمي نفسها الخمس الكبار، وهي التي بيدها قرار السلم والحرب في العالم، فانتفت بذلك المساواة المزعومة بين دول العالم، وتأكد منطق القوة والهيمنة في تشكيل المنظمة الأممية، وهو ما انعكس واضحا على مستوى التدبير في عجز هذا المنتظم في الوفاء بالتزاماته حيال السلم العالمي، بل تحول إلى راعي الظلم والدمار في كثير من مناطق العالم، وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي تعد بحق الشاهد العدل على فشل وظلم هذا المنتظم الدولي.

وقد شهد بهذا الفشل خبير من خبراء هذا المنتظم، المهدي المنجرة حين قال: " تخترق التعاونالدوليأزمةحقيقية،تعودإلىالانطلاقالذيسارعليهبعدالحربالعالميةالثانية،وإلىماا كتسبهخلالالع قودالأخيرةمنذتأسيسهيئةالأممالمتحدةسنة 1945م،التيتعرفتفككايومابعديوم."[٣].

٥) مركزية الأخلاقية الكوكبية

يرى الإمام ياسين أن القضايا الإنسانية العظمى والإشكالات العالمية الكبرى إنما تحل "بأخلاقية كوكبية"[٤]، وهو المشترك القيمي الإنساني الذي يستند إلى فطرة الإنسان، وهو مجموعة من الخصال الكفائية الخلقية التي يعتبرها الإمام ياسين جِسرا بين الناس للتعاون[٥].

ويقدم الإمام ياسين تفسيرا عمليا للمشترك الخلقي ببيان العلاقة بين الأخلاق

(١) جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة ص١٦٩.

(٢) ينظر المادة الأول من ميثاق الأمم المتحدة في موقعها: https://www.un.org/ar/

(٣) المنجرة، المهدي.الحرب الحضارية الأولى،مكتبة الشروق بمصر، الطبعة السابعة 1995م،ص23 .

(٤) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٨١.

(٥) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٥١٣.

والمال، وهي العلاقة الحيوية التي دعا الإمام ياسين إلى الكشف عنها،"لأن الشح والتعلق بالربح صفتان ملازمتان للفرد الفاسد الذي يقرعه القرآن الكريم، كما أن الخضوع للمال هو لب الرأسمالية التي تعيث في الأرض الفساد."(١).

فإعادة بناء هذا المشترك القيمي الإنساني من المروءات والكفاءات والنيات الصالحة يشكل ولا ريب أساسا متينا قويما للميثاق الإنساني والتحالف الحضاري العالمي، خصوصا في سياقنا العالمي المعاصر الذي عنوان فاقته وحاجته هو ما سماه الإمام ياسين "الأخلاقية والروحانية ومعنَى الحياة الإنسانية"(٢).

الفرع الثاني: مؤسسات تنزيل الميثاق:

يقترح الإمام ياسين من أجل تفعيل الميثاق الإنساني وتنزيله على المستوى الدولي أن يتم البدء بالتحالف مع مستضعفي الأرض من دول العالم في مواجهة قوى الاستكبار العالمي، وذلك من خلال التكتل داخل المنظمات الإقليمية والدولية والقارية القائمة التي تجتمع فيها غالبية الدول الضعيفة، يقول الإمام ياسين: "نحن مدعوُّون غدا لنتحالفَ مع مستضعفي الأرض ضد الاستكبار العالمي.... هنالك منظمات دولية عالمية أو إقليمية أو قارية تجتمع فيها الدول الضعيفة، ندخلها من الباب الواسع."(٣).

أما النوع الثاني من المؤسسات الدولية التي يرى الإمام ياسين التحالف معها على قاعدة الميثاق الإنساني الأخلاقي فهي الجمعيات الحقوقية العالمية والإقليمية الصادقة التي تمثل في نظره "صوت الضمير الغربي الغاطس في جبروتهوهي المحاور المنتظر للإسلام"(٤)، فهي كما نشاهدها في مختلف مناطق العالم تقدم تضحيات جسام دفاعا عن حقوق الإنسان صدقا وحقا، ولذلك دعا الإمام ياسين إلى لزوم التعاون والتحالف مع هذه الجمعيات، حيث قال:

(١) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٧٤.

(٢) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٧٣.

(٣) ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٢٦٣.

(٤) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢١٠.

"ولا ينبغي أن نتردد في التعاون المخلص مع نداء الضمير الإنساني الرائع الذي يدفع الجمعيات غير الحكومية عند نظرائنا في الخلق للتضحيات المشكورة، ما لم يتعارض ذلك النشاط الإنساني مع أصل من أصول ديننا."(١).

فمن خلال هذا التحالف مع تلك المؤسسات يرى الإمام أنه يمكن تشكيل قوى الضغط على الدول الكبرى بكل الطرق لفرض الإنصاف عليها بكل وُسعنا، والثورةِ عليها إن اقتضى الحال(٢)، وذلك رحمة بالإنسانية ونفعا لها، وقد أبدع الإمام رحمه الله حين أعلن نداء أخلاقيا حضاريا راقيا في قوله: "نمد لكم اليد، أيتها النفوس المتآخية في الإنسانية، مهما كانت اعتقاداتكم ما دامت الرحمة الإنسانية والمحبة لبني البشر تنعش قلوبكم وأعمالكم."(٣).

الفرع الثالث: عوائق التحالف الإنساني:

إن تهمم الإمام بفكرة الميثاق الإنساني جعلته يتتبع تفاصيلها على مستوى التنزيل ليكتشف من الناحية العملية ما هنالك من عوائق تحول دون تحقيق التحالف الإنساني المنشود ما لم يتم التغلب عليها، ونذكر منها:

١) عائق ازدواجية معايير حقوق الإنسان

إذا كانت الرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان التي يستند إليها الإمام ياسين تقوم على إعلاء مطمح "الإنسانية بالإنجازات العملية لا بالمشاحنات الكلامية."(٤)، وذلك في اتجاه "بناء مستقبل للإنسان يكون فيه حق الإنسان في معرفة ربه، ومصيره، ومعنى حياته، أب الحقوق وأسَّها."(٥)، فإن "التطبيق العالمي الفعلي، والإجراءات التدريجية، وضعت إطارين مختلفين، ورتبت درجتين مختلفتين لإنسانيتين غير متساويتين : إنسانية مسيطرة، وأخرى مسيطر

(١) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٢٢.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. إمامة الأمة ص٢٧٤.

(٣) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٢.

(٤) ياسين، عبد السلام. العدل ص ٣١٦.

(٥) ياسين، عبد السلام. الشورى والديمقراطية ص١٢٣.

عليها."[١]، وهو تناقض في نظر الإمام بين بنود وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان "وبين التطبيقات والإجراءات العالمية الفعلية المتجلية في طرد العرب من فلسطين، وتثبيت أقدام الشتات اليهودي في فلسطين، ومحرقة بغداد، ومجازر البوسنة والهرسك الرهيبة."[٢].

ويرجع الإمام ياسين سبب هذه الازدواجية إلى واضع فكرة حقوق الإنسان وسياق نشأتها، ذلك أن"حقوق الإنسان كما هو متعارف عليها دوليا مبنية على معاهدات لم يحضر إبرامها المسلمون، لم يحضر إبرامها في سان فرانسسكو إلا الأمم المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. لم يُبرِمْها المستضعفون في الأرض، وأنّى لهم. لذلك فهي منذ ديباجتها تقسم الأمم إلى سيدة ومَسودة "[٣].

والعائق الأكبر في هذه الازدواجية هو الاستعلاء والعنصرية لدى واضعي حقوق الإنسان، إذ لهم الاقتناع بأنهم أهل حضارة وغيرهم همج، وعليه يقرر الإمام ياسين أن "المتعارف عليه في القانون الدولي أن الإنسان كائن حُرّ من كلِّ فكرة أو دين أو مبدإٍ لا يتفق مع النظرة اللاييكيةالدوابية للإنسان، والمتعارف عليه دوليا هو بعد هذا واقع محمِيٌّ الحِمَى "[٤].

فهذا الواقع الظالم العائق لحقوق الإنسان الذي يجعل بعض البشر أكرم من بعضفي نظر الإمام يخفي وراءه ضمير إنساني صادق ينادي بصدق وإخلاص بحقوق الإنسان، ومعه ينبغي التجاوب والتناجي[٥] "لنرفع مطمح الإنسانية إلى حقها الأزلي الأبدي الذي لا تُكَوّنُ الحقوق المتعارَف عليها إلا حلقاتٍ من سلسلته"[٦].

(١) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢٢٢.

(٢) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق.

(٣) ياسين، عبد السلام. الشورى والديمقراطية ص٢١٢.

(٤) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص١٢٣.

(٥) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٣١٦.

(٦) ياسين، عبد السلام. العدل ص٣١٧.

٢) عائقواقع المسلمين الضعيف

فهذا الواقع المأزوم للأمة ليس وليد اللحظة في نظر الإمام وإنما هو نتيجة تحولات تاريخية وحضارية كبرى في تاريخ الأمة، وقد أجمل الإمام تلك التحولات في اثنتين: أولاهما التحول المبكر في نظام الحكم الإسلامي لما انقلب الحكم وراثة عضوضا يورث الأب بمقتضاه ابنه أمر الأمة كما تورث الأشياء فقد كان الاستبداد الداء العضال الذي أصاب الأمة في وقت مبكر من تاريخها قبل أن تتوالى عليها الأدواء الأخرى المتفرعة عنه(١)، وثاني التحولات صدمة الاستعمار الغربيالذي نشر المسخ الحضاري في الأمة بآلية ما سماه الإمام ياسين " طاحون التعليم الغربي"(٢)

٣) عائق العنف والتطرف لدى بعض المسلمين

مظاهر العنف والتطرف لدى بعض الفيئات الشبابية من المسلمين واقع لا ينكر، وهو في نظر الإمام ياسين من نتائج التحولات السابقة، حيث يقول: " من العِلل الغثائيةالدائية الغلو في الدين"(٣)، لكن ما يصدر من عنف وتطرف من هذه الفيئات يضر بإمكانية التواصل الحضاري والتبادل الإنساني بين المسلمين والأمم، خصوصا حينما تكون الضحايا مدنيين غربيين أبرياء، لذلك يستنكر الإمام ياسين متسائلا هذا السلوك العنيف العائق للتواصل الإنساني، فيقول: "كيف نُسمع صوت "شرف الإسلام الدولي" للعالم ومنطقُ العنف يسوق بعض المسلمين لحجز الرهائن؟ ما جرّ بعضَ المسلمين للعنف؟ ما زيَّنه لهم؟ ما حَملهم عليه؟"(٤).

(١) ينظر تفاصيل هذا التحول في مختلف كتابات الإمام، منها: الخلافة والملك، ونظرات في الفقه والتاريخ، والشورى والديمقراطية وغيرها.

(٢) ينظر ياسين، عبد السلام. العدل ص٣٥٩ وص٥١٩

(٣) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٥٠.

(٤) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٣١٦.

فهذه العوائق من التحديات العملية التي تواجه تنزيل وتفعيل مشروع الميثاق الإنساني، وينبغي السعي في نظر الإمام لتجاوزها من أجل أن نفهم العالم "أن شرف الإسلام الدولي هو أقدس شرف عرفه التاريخ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام الدولي لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها."(١).

الفرع الرابع: منهج بناء التحالف الإنساني:

لعل الحديث عن تنزيل مقتضيات التحالف الإنساني من خلال أولوياته ومؤسساته وعوائقه يقتضي البحث عن ملامح المنهج الذي يقترحه الإمام مناسبا لتنزيل مشروع ميثاق هذا التحالف الأممي، وقد ألفيناه منهجا يقوم على بناء خطاب تواصلي حضاري يتميز بوصفين اثنين:

أحدهما: خطاب محبة ورحمة

لا شك أن عظمة المشروع الحضارية وأفقه الإنساني الطموح، يستلزم التوسل إليه بصياغة خطاب تواصلي إنساني يحمل في مبناه ومعناه المحبة الصادقة للإنسان بمقتضى علاقة الرحم الآدمية بين فروع الإنسانية، والرحمة والشفقة بالإنسان الذي يعيش حالة الضنك إما ماديا أو معنويا أو هما معا، وهذا في نظر الإمام واجب شرعي يقتضي من المسلمين أن يذكروا الناسأنهم إخوة ومخلوقات لله وحده."(٢).

وخطاب محبة ورحمة لايأتي إلا بخير، فقد جبلت النفوس على محبة من أحسن إليها قولا وعملا، وأمرنا الحق سبحانه بلزوم القول الحسن مع عموم الناس في قوله سبحانه: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة:٨٢)، ورغب الحق سبحانه في البرور والإقساط للإنسان المخالف، فقال: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة الآية ٨).

(١) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٣٠٧.

(٢) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٣.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الأمة بالرحمة بمخلوقات الله في الأرض وعلى رأسها الإنسان، فقال: " الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"(١)، وبناء على هذه الموجبات الشرعية وغيرها، وجه الإمام ياسين نداءه الإنساني التواصلي الراقي في قوله: ""نمد لكم اليد، أيتها النفوس المتآخية في الإنسانية، مهما كانت اعتقاداتكم ما دامت الرحمة الإنسانية والمحبة لبني البشر تنعش قلوبكم وأعمالكم."(٢).

وثانيهما خطاب تقدير وإنصاف

لقدأدرك الإمام ياسين أن الأزمة بين المسلمين وغيرهم أزمة تواصل وغياب خطاب إيجابي تواصلي مما أدى إلى تفاقم الخلاف وسوء التفاهم، فالخلاف الحاصل المانع من التواصل في نظر الإمام ما هو " في الغالب إلا مولود غير شرعي لكلمة غامضة أو لنية سيئة."(٣)، فدواء ذلك أن يكون الحوار مع الإنسان المخالف بخطاب احترام وإنصاف اقتداء بخطاب الله للإنسان في كتابه، فقد ساق الحق سبحانه خطابه مساق جدل وحجاج ولم يقدمه عاريا عن البراهين والحجج مراعاة وتقديرا للمخاطب المخالف.

لذلك قرر الإمام في بناء الخطاب التواصلي المطلوب" أن من واجبنا مد الجسور برفق ومحبة وحدب أمام الناس ليحتفظ الناس بسمعتهم، واعتدادهم بنفسهم، وحرمة شخصيتهم حتى لا يخجلوا من عودتهم من الخطأ إلى الصواب، ومن الشك إلى اليقين، ومن اللاأدرية العبثية إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر."(٤)، وذلك اقتداء "برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حافظ على الحساسيات وأبقى الزعامات."(٥).

(١) أبو داود في السنن، رقم ٤٩٤١، والترمذي في السنن برقم ١٩٢٤، وأحمد في المسند برقم ٦٤٩٤.

(٢) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٢.

(٣) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٢٤.

(٤) ياسين، عبد السلام. حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ص٢٣.

(٥) ياسين، عبد السلام. المصدر السابق ص٢٤.

ويلح الإمام في الدعوة إلى تواصل صادق منصف بين الإنسانية مراعاة لما تعيشه هذه الإنسانية من حالة فقدان المعنى، يقول رحمه الله: " آن الأوان، والحاجة ملحة، وفي وقت تفقد فيه الإنسانية إنسانيتها، أن تحل الكلمة الصادقة محل الشتائم، وأن تتوقف الدعاية المغذية للضغائن."(١).

(١) ياسين، عبد السلام. الإسلام والحداثة ص٢٤.

خاتمة

في ختام هذه الجولة البحثية الماتعة النافعة في قول الإمام ياسين في ميثاق إنساني عالمي، نورد أهم ما خلص إليه البحث في فقرات مركزة مشفوعة بتوصية، وذلك على النحو الآتي:

– إن موضوع التحالف الإنساني الحضاري أخذ حيزا واسعا من تفكير الإمام ياسين رحمه الله، ترجمه في كتاباته بيانا وتحليلا وتعليلا وتأصيلا وتقويما وتنزيلا في سياق مشروعه الحضاري المنهاج النبوي.

– تميزت مقاربة الإمام ياسين لموضوع ميثاق التحالف الإنساني بعمق الرؤية الشمولية لتأصيله، حيث ساقه مقتضى من مقتضيات قصد الله الكوني، وموجبا من موجبات قصده سبحانه الشرعي في وحيه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

– لم يكتف الإمام ياسين بالبيان التأصيلي لميثاق التحالف الإنساني، وإنما شفع ذلك بالبيان التفصيلي لمقتضيات ووسائل تنزيله وتفعيله في السياق المعاصر استجابة للحاجة الإنسانية المعاصرة الملحة، فبين رحمه الله الأولويات الإنسانية الزمنية الجامعة التي ينبغي أن يتأسس عليها هذا الميثاق الإنساني الأخلاقي، والمؤسسات التي من خلالها يمكن تنزيل مقتضيات هذا الميثاق، والعوائق الواقعية التي تحول دون تنزيل الميثاق، والمنهج التواصلي الذي يتعين اعتماده في بناء جسور التواصل مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية.

– وإني لأوصي في نهاية هذه الخاتمة الباحثين في مختلف مراكز البحث والدراسة، والمهتمين بحقوق الإنسان الجادين في الدفاع عن الإنسانية أن يستأنفوا البحث والتنقيب عن مزيد تفاصيل نفسية لميثاق التحالف الإنساني عند الإمام ياسين من خلال تراثه المكتوب، فما هذا البحث إلا معالم مختصرة لتفاصيل معرفية ومنهجية وفلسفية نفيسة ثاوية في مختلف مكتوبات الإمام رحمه الله.

والحمد لله رب العالمين

لائحة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

- البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١/ ١٤٢٢هـ.
- البيهقي، أبو بكر،شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي حامد، (الرياض: مكتبة الرشد، ط.١، ٢٠٠٣م).
- البيهقي، أبو بكر أحمد. السنن الكبرى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة، بدون رقم، ١٩٩٤م.
- الترمذي السنن، تحقيق وتعليق: للجزء الخامس كل من إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط٢/١٣٩٥هـ.
- التونجي، عبد السلام. مؤسسة العدالة، في الشريعة الإسلامية، (ليبيا: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

ابن تيمية،أحمد.

- قاعدة في المحبة، تحقيق وتعليق د. رشاد سالم، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، دون ت ولا رقم طبعة.
- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٩٩١م.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك. غياث الأمم في الثيات الظلم، تحقيق أحمد عبد الحليم السايح وتوفيق علي وهبة، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، طبعة١/٢٠١١م.
- ابن حنبل، أحمد. المسنده، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط.٢، ١٩٩٩م.)
- أبو داود،سليمان بن الأشعث.سنن أبي داود، دون الناشر، مصر، طبعة ٢/ ١٩٢٩م.
- الربيع العربي وأسئلة المرحلة (بالاشتراك)، منشورات مجلة منار الهدى المغربية، الرباط:

مطبعة الجودة، طبعة ١/٢٠١٢م.

- الربيع، المسند، الناشر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلطنة عمان، ط١/. ١٤٣٢هـ،).

رفيع، محماد.

– النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف، القاهرة: دار السلام، ط١/٢٠١٢م.

– مراجعات في التراث القاصدين والأصولي والفقهي عند الإمام ياسين ،البيضاء: إفريقيا الشرق، ط.١، ٢٠٢١م، منشورات مؤسسة الإمام عبد السلام ياسين.

– أبو زهرة، محمد، الإمام زيد: حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي (دون تاريخ ط. ولا مكانه).

- طه، عبد الرحمن.منالإنسانالأبترإلىالإنسانالكوثر،المؤسسةالعربيةللفكر والإبداع،بيروت،ط٢/2016م.

- المنجرة، المهدي.الحربالحضاريةالأولى،مكتبةالشروقبمصر،الطبعةالسابعة 1995م.

- مسلم،أبو الحسين النيسابوري. الجامع الصحيح،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ت. ولا رقم ط.

ابن عاشور، الطاهر.

- تفسير التحرير والتنوير، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس بدون تاريخ.

- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، القاهرة: دار السنون ودار السلام، طبعة٢٠١٠م.

- عطية، جمال الدين. نحو تفعيل مقاصد الشريعة، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط.١، ٢٠٠١م.

- علال الفاسي، مقاصد الشَّرِيعَة الإسلامية ومكارمها، ط٢، (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٧٩م).

- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، تحقيق المجلس العلمي بتارودانت، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٩١م

- الغزالي أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق مصطفى أبو العلا، (القاهرة: مكتبة الجندي، د.ط).
- الغنوشي، راشد.الحُرِّيات العامة في الدَّوْلة الإسلامية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط١، ١٩٩٣م.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، طبعة٢/١٩٦٤م.
- الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة / ٢٠٠٣م).

ياسين عبد السلام.

- الإحسان، مطبوعات الأفق، ط١/١٩٩٨م.
- إمامة الأمة، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ط١/ ٢٠٠٩م.
- الإسلام والحداثة، مطبوعات الأفق، ط١/٢٠٠٠م.
- الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية، طبعة ١/١٩٨٧م.
- الإسلاموالقومية العلمانية، طبعة ١/١٩٨٩م.
- حوار مع صديق أمازيغي، البيضاء: مطبوعات الأفق، طبعة١/١٩٩٧م.
- تنوير المومنات، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ط١/٢٠٠٣م.
- الحوار مع الفضلاء الديمقراطيين، البيضاء: مطبوعات الأفق، ط ١/١٩٩٤م.
- القرآن والنبوة، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، طبعة١/٢٠١٠م.
- الشورى والديمقراطية، البيضاء: مطبوعات الأفق، ط١/١٩٩٦م.
- العدل الإسلاميون والحكم، البيضاء: مطبعة الأفق، ط ١/٢٠٠٠م.
- نظرات في الفقه والتاريخ، المحمدية: مطبعة فضالة، ط١/١٩٨٩م
- المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ط ٢/١٩٨٩.
- سنة الله، البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، طبعة١/٢٠٠٥هـ.

- الخلافة والملك، البيضاء: مطبعة الأفق، ط١/٢٠٠١م.
- مقدمات في المنهاج، المغرب: مطبعة الأمة، طبعة١/١٩٨٩م.
- في الاقتصاد البواعث الإيمانية والضوابط الشرعية، البيضاء: ط٢/٢٠٠٣م.
- جماعة المسلمين ورابطتها، طبعة١/٢٠١١م.
- ميثاق الأمم المتحدة في موقعها: https://www.un.org/ar/

:www.marokpress.com

- al-Qur'ān al-Karīm bi-riwāyatWarsh'anNāfi' min ṭarīq al-Azraq.Ḥajj.
- al-Bukhārīfī al-Jāmi' al-ṣaḥīḥ, taḥqīqMuḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, DārṬawq al-najāh (muṣawwarah'an al-sulṭānīyahb'ḍāfhtrqymMuḥammadFu'ād'Abd al-Bāqī), Ṭ1/1422h.
- al-Bayhaqī, AbūBakr, sha'b al-īmān, taḥqīq'Abd al-'AlīḤāmid, (al-Riyāḍ : Maktabat al-Rushd, Ṭ. 1, 2003m).
- al-Bayhaqī, AbūBakr, sha'b al-īmān, taḥqīq'Abd al-'AlīḤāmid, (al-Riyāḍ : Maktabat al-Rushd, Ṭ. 1, 2003m).
- - al-Tirmidhīal-sunan, taḥqīqwa-ta'līq : lljz' al-khāmiskull min Ibrāhīm'Aṭwah'Awaḍ, SharikatMaktabatwa-Maṭba'atMuṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī - Miṣr ṭ2/1395h.
- al-Tūnjī, 'Abd al-Salām. Mu'assasat al-'adālah, fī al-sharī'ah al-Islāmīyah, (Lībiyā :ManshūrātJam'īyat al-Da'wah al-Islāmīyah al-'Ālamīyah.
- IbnTaymīyah, Qā'idatfī al-Maḥabbah, taḥqīqwa-ta'līq D. RashādSālim, al-Qāhirah, Maktabat al-Turāth al-Islāmī, Dawwin t wa-lāraqmṬab'ah.
- IbnTaymīyah, Aḥmad. Majmū' al-Fatāwá, jam'wa-tartīb'Abd al-RaḥmānibnMuḥammad al-'Āṣimī al-Najdī, 'Ālam al-Kutub, al-Riyāḍ, Ṭab'ah 1991m.
- al-Juwaynī, Abū al-Ma'ālī'Abd al-Malik. Ghiyāth al-Umamfīalthyāt al-ẓulm, taḥqīqAḥmad'Abd al-Ḥalīm al-Sāyiḥwa-Tawfīq'AlīWahbah, al-Qāhirah :Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, ṭb't1/2011M.
- al-Sāyiḥwa-Tawfīq'AlīWahbah, al-Qāhirah : Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, ṭb't1/2011M.
- IbnḤanbal, Aḥmad. almsndh, taḥqīqShu'aybArnā'ūṭwa-ākharūn, (Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, Ṭ. 2, 1999M.

- AbūDāwūd, Sulaymānibn al-Ash‘ath. SunanAbīDāwūd, Dawwin al-Nāshir, Miṣr, Ṭab‘ah 2/1929m.
- al-Rabī‘ al-‘Arabīwa-as’ilat al-marḥalah (bi-al-ishtirāk), ManshūrātMajallatManār al-Hudá al-Maghribīyah, al-Rabāṭ : Maṭba‘at al-jawdah, Ṭab‘ah 1/2012m.
- Rafī‘, Miḥmād.
- al-naẓar al-shar‘īfībinā’ al-I’tilāfwa-tadbīr al-Ikhtilāf, al-Qāhirah : Dār al-Salām, Ṭ1/2012m.
- Murāja‘ātfī al-Turāth al-maqāṣidīwa-al-uṣūlīwa-al-fiqhī‘inda al-ImāmYāsīn, al-Bayḍā’ : Ifrīqiyā al-Sharq, Ṭ. 1, 2021m, ManshūrātMu’assasat al-Imām‘Abd al-SalāmYāsīn.
- AbūZahrah, Muḥammad, al-ImāmZayd : ḥayātuhuwa-‘aṣruh, ārā’uhuwa-fiqhuhu, Dār al-Fikr al-‘Arabī (DawwinTārīkh Ṭ. wa-lāmakānuh).
- Ṭāhā, ‘Abd al-Raḥmān. min al-insānal’btrilá al-insān al-Kawthar, al-Mu’assasah al-‘Arabīyahlil-Fikrwa-al-ibdā‘, Bayrūt, ṭ2/2016m.
- al-Minjarah, al-Mahdī. al-ḥarb al-ḥaḍārīyah al-ūlá, Maktabat al-Shurūq bi-Miṣr, al-Ṭab‘ah al-sābi‘ah 1995m.
- Muslim, Abū al-Ḥusayn al-Nīsābūrī. al-Jāmi‘ al-ṣaḥīḥ, taḥqīqMuḥammadFu’ād‘Abd al-Bāqī, DārIḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, bi-dūn t. wa-lāraqm Ṭ.
- Ibn ‘Āshūr, al-Ṭāhir.
- tafsīr al-Taḥrīrwa-al-tanwīr, Ṭab‘ahDārSaḥnūnlil-Nashrwa-al-Tawzī‘ bi-Tūnis bi-dūnTārīkh.
- uṣūl al-niẓām al-ijtimā‘īfī al-Islām, al-Qāhirah : Dāralsnwnwa-Dār al-Salām, ṭb‘t2010m.
- ‘Aṭīyah, Jamālal-Dīn. NaḥwaTaf‘īlMaqāṣid al-sharī‘ah, ‘Ammān : al-Ma‘had al-‘Ālamīlil-Fikr al-Islāmī, Ṭ. 1, 2001M.
- ‘Allāl al-Fāsī, Maqāṣidalshsharī‘aAh al-Islāmīyahwmkārmhā, ṭ2, (al-Rabāṭ : Maṭba‘at al-Risālah, 1979m).
- Ibn ‘Aṭīyah al-Andalusī, al-muḥarrir al-Wajīz, taḥqīq al-Majlis al-‘Ilmī bi-Tārūdānt, Ṭab‘ahWizārat al-Awqāf al-Maghribīyah, 1991m
- al-GhazālīAbūḤāmid, al-Mustaṣfá min ‘ilm al-uṣūl, taḥqīqMuṣṭafáAbū al-‘Ulā, (al-Qāhirah : Maktabat al-Jundī, D. Ṭ).

- al-Ghannūshī, Rāshid. alḥurriyāt al-‘Āmmahfīalddawlh al-Islāmīyah, Bayrūt : MarkazDirāsāt al-Waḥdah al-‘Arabīyah Ṭ1, 1993M.
- al-Qurṭubī, al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, taḥqīqAḥmad al-Baraddūnīwa-IbrāhīmAṭṭafayyish, al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, ṭb‘t2/1964m.
- al-Shāṭibī, AbūIsḥāq : al-Muwāfaqātfīuṣūl al-sharī‘ah, taḥqīq‘AbdAllāhDarāz (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, al-Ṭab‘ah al-thālithah / 2003m).

Yāsīn‘Abd al-Salām :

- al-iḥsān, Maṭbū‘āt al-ufuq, Ṭ1/1998M.
- imāmat al-ummah, Bayrūt : DārLubnānlil-Ṭibā‘ahwa-al-Nashr, Ṭ1/2009M.
- al-Islāmwa-al-ḥadāthah, Maṭbū‘āt al-ufuq, Ṭ1/2000M.
- al-Islāmwa-taḥaddī al-Mārkisīyahallynynyh, Ṭab‘ah 1/1987m.
- ḥiwārma‘aṢiddīqAmāzīghī, al-Bayḍā’ : Maṭbū‘āt al-ufuq, ṭb‘t1/1997m.
- Tanwīralmwmnāt, Bayrūt : DārLubnānlil-Ṭibā‘ahwa-al-Nashr, Ṭ1/2003m.
- al-Ḥiwārma‘a al-fuḍalā’ al-Dīmuqrāṭīyīn, al-Bayḍā’ : Maṭbū‘āt al-ufuq, Ṭ 1/1994m.
- al-Qur’ānwa-al-nubuwwah, Bayrūt : DārLubnānlil-Ṭibā‘ahwa-al-Nashr, ṭb‘t1/2010m.
- al-Shūráwa-al-dīmuqrāṭīyah, al-Bayḍā’ : Maṭbū‘āt al-ufuq, Ṭ1/1996m.
- al-‘Adl al-Islāmīyūnwa-al-Ḥikam, al-Bayḍā’ : Maṭba‘at al-ufuq, Ṭ 1/2000M.
- Naẓarātfī al-fiqhwa-al-tārīkh, al-Muḥammadīyah : Maṭba‘atFaḍālah, Ṭ1/1989m
- al-Minhāj al-Nabawītarbiyatwtnẓymāwzḥfā, Ṭ 2/1989.
- sanatAllāh, al-Bayḍā’ : Maṭba‘at al-Najāḥ al-Jadīdah, ṭb‘t1/2005h.
- al-khilāfahwa-al-malik, al-Bayḍā’ : Maṭba‘at al-ufuq, Ṭ1/2001M.
- muqaddimātfī al-Minhāj, al-Maghrib : Maṭba‘at al-ummah, ṭb‘t1/1989m.
- fī al-iqtiṣādalbwā‘th al-īmānīyahwa-al-ḍawābiṭ al-shar‘īyah, al-Bayḍā’ : ṭ2/2003m.
- Jamā‘at al-Muslimīnwrābṭthā, ṭb‘t1/2011M.
- Mīthāq al-Umam al-Muttaḥidahfīmawqi‘uhā : https : / / www. un. org / ar /
- : www. marokpress. com